مكتبة الأسرة
القراءة للجميع
٢٠١٠

سلسلة العلوم الإجتماعية

صباح الخير يا بلد أوكى

صلاح منتصر



صباح الخير يا بلد



برعاية السيدة

سوزان مبارك



المشرف العام

د. محمد صابر عرب

تصميم الغلاف

د. مدحت متولى

الإشراف الفنى

ماجدة عبد العليم
على أبـو الخير
صبرى عبد الواحد

الجهات المشاركة

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعـلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
المجلس القومى للشباب

صباح الخير يا بلد

صلاح منتصر



صباح الخير يا بلد

لوحة الغلاف من أعمال الفنان : محمود همام

منتصر، صلاح .
صباح الخير يا بلد / صلاح منتصر. ـ القاهرة:
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠.
١٨٤ ص ؛ ٢٤ سم. (مكتبة الأسرة ٢٠١٠، سلسلة
العلوم الاجتماعية)
تدمك ٥ - ٦٧٣ - ٤٢١ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١ ـ مصر - الأحوال الاجتماعية
أ - العنوان
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٥٥٥ / ٢٠١٠
I.S.B.N 978-977-421-673 -5
ديوى ٣٠٩,١٦٢

توطئـة

مثل كل الأحلام الكبرى التى بزغت منها مشاريع عملاقة أدت إلى تطور مجتمعاتها، ولهذا أرسى **مهرجان القراءة للجميع** جذوره الراسخة فى الأرض المصرية منذ عشرين عامًا.. لقد انطلق أهم مشروع ثقافى فى العالم العربى عام ١٩٩٠ تحقيقًا لحلم السيدة الفاضلة **سوزان مبارك** راعية المهرجان، وصاحبة فكرته والتى دشنته آنذاك بافتتاح عشرات المكتبات فى جميع ربوع الوطن، وأطلقته فى سماء الواقع برؤية واضحة ومحددة تستند على الإيمان بأن الثقافة هى وسيلة الشعوب لتحقيق التقدم والتنمية بما لها من قدرة على تحويل المعارف المختلفة إلى سلوك متحضر، وإعلاء المُثل العليا، وقيم العمل والإنجاز، وإشاعة روح التسامح والحرية والسلام التى دعت إليها جميع الأديان، بهدف أن تُكوِّن ثقافة المجتمع بتأصيل عادة القراءة وحب المعرفة، لذا فإن وسيلة المعرفة الخالدة ستظل هى الكتاب الذى يسهم فى إرساء دعائم التنمية، وتحقيق التقدم العلمى المنشود.

لقد اتسعت روافد **الحملة القومية للقراءة للجميع** طوال الأعوام العشرين الماضية، وأصبحت تشكل فى مجملها دعوة حضارية للبناء الروحى والفكرى والوجدانى للإنسان المصرى نابعة من الإيمان العميق بأن الثقافة هى بكل المقاييس أفضل استثمار لبناء مجتمع المستقبل، وهى الجسر الرئيسى للشباب للحاق بركب الحضارة المعاصرة، بل تكاد تكون هى الوسيلة الوحيدة لنشر قيم العلم والتسامح والديمقراطية والسلام الاجتماعى والتطور الحضارى، وترسيخ قيم المواطنة وقيمة دور المرأة، وتعزيز قيمة التجدد الثقافى والتفكير النقدى

والحوار ومعرفة الآخر والتبادل والتواصل المجتمعى والدولى، وأيضًا إبراز تواصل الإبداع المصرى من خلال نشر الآثار الأدبية لـ «مختلف أجيال المبدعين».

ومنذ العام الرابع لمهرجان **القراءة للجميع**؛ أصبحت **مكتبة الأسرة** من أهم روافده، وقدمت طوال ستة عشر عامًا دون توقف ملايين النسخ بأسعار رمزية لإبداعات عظيمة لشباب المبدعين وكبار الكتاب الذين أثروا المشروع فكريًا وثقافيًا وعلميًا ودينيًا وتراثيًا وأدبيًا، كما قدمت الموسوعات الكبرى التى تُعتبر أعمدة هذه المكتبة، والتى شكلت مسيرة فكر النهضة فبعثت فى نفوس الشباب من جديد الإحساس بالفخر بما قدمته أمتهم من كنوز إبداعية ومعرفية وفكرية للبشرية، وأقامت جسرًا يصل بين ماضيهم وحاضرهم، ويصل بين حاضرهم ومستقبلهم، كما بعثت فيهم روح الانتماء القوى لهويتهم المصرية والعربية، ولما لا وقد أطلت عليهم مكتبة باذخة الثراء تتكئ على مؤلفات حضارة مصرية قديمة ما زالت قادرة على إدهاش العالم حتى هذه اللحظة بما احتوته من تقدم فنى وفكرى وعلمى وفلسفى وأدبى شكّل فجر «ضمير الإنسانية» وحضارة إسلامية أنارت ظلمات أفلاك البشرية لحقب طويلة من الزمان، ووضع أعلامها بعض أعمدة الحضارة المعاصرة فى مجالات الطب والفلك والرياضيات والآداب!.

لهذا كله ستواصل **مكتبة الأسرة** هذا العام نشر رسالتها بالسعى قدمًا نحو تطوير أدائها، وتحقيق حلمها الأكبر بتكوين ثقافة المجتمع كله بأيسر السبل، والتأكد من اطلاعه على جميع ما أنتجته عبقرية الأمم ممثلة فى تراثها الأدبى والعلمى والفكرى المستنير.

مكتبة الأسرة

٢٠١٠

الساقية

لم أجد عنوانًا لمقدمة هذا الكتاب أفضل من الساقية. فكاتب العمود اليومى - مثلى - يشعر أنه يدور فى ساقية يحاول ملأها بالأفكار طوال اليوم ويفرغها على الورق فى المساء ليبدأ من جديد بلا توقف.. فهوعندما يفرغ من كتابة عمود ينسى ما كتبه ويتطلع إلى ما سوف يكتبه.. وهذا هو عذاب كاتب العمود..لا ينعم طويلاً بما كتبه بل يعذبه أكثر ما سوف يكتبه.. فهو فى امتحان متواصل.. وهذه هى الساقية !

أتاحت لى فكرة هذا الكتاب أن أعود إلى الماضى أقلب صفحاته وأختار بعضها. ولا أعرف على أى أساس كان هذا الإختيار سوى أننى أردت أن تكون هذه المقالات فى مجموعها مختلفة الموضوعات،فبعضها تجده فى السياسة وبعضها فى الأدب وأخرى فى الرياضة أوعن الابتسامات والمجتمع.. فهى فى عموميتها تشكيلة من الأفكار والآراء التى إنتزعتها الساقية وأفرغتها فى ورقة الإجابة التى أصافح بها القارئ وأنا أهتف معه صباح الخير يابلد !

صلاح منتصر

وصباح الخير يابلد..

لو أننى نشرت مايصلنى من مشاكل شخصية من طلبات عمل ونزاعات أمام القضاء وطلبات مساعدة وغير ذلك من هموم الناس لما كانت لدى مساحة للحديث فى القضايا العامة.. وهو مايجعلنى أختار أقل القليل من هذه الرسائل الخاصة ومنها هذه الرسالة من الدكتور مصطفى شرف : أنا حاصل على درجة الدكتوراه فى علم الحشرات (علم النمل) من كلية العلوم جامعة عين شمس عام ٢٠٠٦. عملت فى السنوات الخمس الأخيرة فى كلية المعلمين جامعة الملك خالد بالمملكة السعودية. إن تخصصى ولاتدهش وهو (علم تصنيف وبيئة النمل) هو التخصص الوحيد فى هذا المجال فى دول شمال إفريقيا بأكملها. فعدد متخصصى النمل على مستوى العالم لايتجاوز ١٥٠ شخصاً موزعين فى كل دول العالم. أما فى منطقتنا فنحن أربعة من بينهم متخصص فى جامعة تل أبيب. أما من حيث نشاطى العلمى فقد أتممت رسالة الدكتوراه فى متحف "ليفربول" للتاريخ الطبيعى ولى نشاط جيد مع متاحف التاريخ الطبيعى فى لندن وبازل وجنيف وليفربول. ومعذرة للإطالة ولكن لأوضح سبب كتابتى إليكم وهو أننى فى مشكلة عدم وجود عمل لى فى مصر.. فلم أستطع أن أجد وظيفة فى أية جامعة مصرية ولا حتى وزارة البيئة. إن لدى أمل مساعدتى فى الحصول على فرصة عمل تناسب تخصصى النادر جداً والذى كان مفروضا أن يكون فى إحدى الجامعات المصرية ولكنها تخلو من هذا التخصص رغم الاحتياج الشديد إليه. فهل تستطيع مساعدتى عن طريق الدكتور هانى هلال وزير التعليم العالى أو أى

رئيس جامعة ويجزيك الله خيراً عن باحث يأمل فى مواصلة حياته العلمية لتقدم بلدنا.

هذه هى الرسالة التى أعترف أننى تأثرت بها فليست القضية هنا مجرد باحث عن عمل وإنما نحن أمام واحد من أربعة فقط فى كل منطقتنا لهم نفس التخصص.. صحيح أنه تخصص غريب وفريد ولكن هذه هى طبيعة العلم. هل يستطيع الدكتور هلال أن يحل مشكلة دكتور وعالم سنه ٣٦ سنة ويبحث عن عمل؟!

فى اليوم التالى لنشر الرسالة اتصل بى الدكتور هانى هلال يعاتبنى لأننى لم أحول له الشكوى قبل نشرها فنحن فى حاجة إلى مثل هؤلاء العلماء ولابد من تشجيعهم وإذا لم يجدوا مكاناً فى وطنهم فلن تكون هناك قيمة لهذا الوطن. وقد طلب منى أن يتصل الدكتور برئيس إحدى الجامعات. وتم الاتصال وجاءنى صوت رئيس الجامعة يعبر عن سعادته بالتعرف على عالم فى تخصص الدكتور شرف، وأنه وهو مقيد باللوائح لابد أن يعلن عن وظيفة شاغرة فى تخصصه وخلال أسابيع سينشر الإعلان ويتم تعيين الدكتور.. ومرت الأسابيع والشهور وأصبحت أشعر بالخجل من الدكتور العالم.. الخجل نيابة عن كل مسئول فى هذا البلد لايستطيع الاستفادة بعلمه.. وبعد نحو سنة اتصلت أنا بالدكتور شرف أسأله عن الأخبار وكان رده لا جديد والكل صامت. ووجدتنى أقول له إسمع يا دكتور لقد قلت لى إن جهات أخرى خارجية تطلبك للعمل وأنا أقول لك لا تتردد.. اترك مصر يا دكتور وتوكل على الله وسافر.

ولم يمض غير شهر حتى اتصل بى الدكتور شرف يبلغنى أنه تعاقد مع جامعة الملك عبد العزيز وأنه مسافر بعد يومين.. وتوالت رسائل الدكتور بعد ذلك من الجامعة السعودية تطمئننى أنه فى أسعد حال بالمعدات والأجهزة العلمية التى يعمل بها والأبحاث التى يقوم بها.. وصباح الخير يابلد!

كن خواجة

نصيحة إلى كل مسافر إلى شرم الشيخ او الغردقة أومرسى علم.. إذا حدث وتعرضت أنت أو أى فرد من عائلتك أو اصدقائك لأية مشكلة فى البر أو البحر واتصلت بشرطة النجدة أو الإسعاف أو الإنقاذ لمساعدتك فسيرد عليك من أبلغته عن الحادث ويسألك بسرعة: فيه خواجات فى الحادث؟ عند ذلك إياك أن تكون صادقا معه. أكد له أن الحادث لخواجة أو خواجات لاتعرف جنسياتهم، وأنهم يرطنون بلغة لاتفهمها.. عند ذلك ستتسابق أجهزة النجدة والإنقاذ والمطافئ والهليوكوبتر إلى مكان الخواجة وتقدم كل الخدمات اللازمة لإنقاذه..

صحيح أن هذه الأجهزة ستصدم عندما تكتشف أن المصاب مصرى وليس خواجة ومن الممكن ساعتها أن تبحث عن الذى قدَّم البلاغ وقد تتهمه بالبلاغ الكاذب وإزعاج السلطات،ولكن نظرًا لأن الأجهزة أصبحت فى المكان، والفأس أصبحت فى الرأس فستجد نفسها مضطرة لإسعاف هذا المصرى..

أما إذا حدث وأخذتك العزة وكنت صادقًا وأجبت الذى سألك عن وجود خواجات، وقلت له وأنت تصرخ : يعنى إيه خواجات ده مصرى زيه زيك. فعليك أن تتحمل مسئولية ماقلت، وأن تنتظر الساعات دون أن يصل مسئول لإنقاذ هذا الذى أبلغت عنه، وربما أصبح باقيًا لك إعداد نعى الفقيد وترتيبات الجنازة.. فهو مصرى وليس له دولة أجنبية تسأل عنه، ولاصحافة تكتب أخباره وتؤثر على عدد السياح الذين تصدر بهم إحصائية كل شهر ومعها عدد الليالى السياحية السعيدة الهانئة التى ينعم بها هؤلاء الخواجات فى حضن المحروسة مصر.

وليس فيما أقول مبالغة ولا سخرية.. فقد أصبحت ظاهرة عند الإبلاغ عن أى حادث أن يهتم من تلقى البلاغ بجنسية من يتم الإبلاغ عنه.. وفى المرات التى ذكر فيها أصحاب البلاغات أنهم مصريون كان الإهمال نصيبهم.. فى إحدى المرات تلقى أب على المحمول اتصالاً من ابنته فى عرض البحر الأحمر تبلغه بحريق فى اليخت.. داخ الأب ليعثر على مسئول يتولى إنقاذ ابنته وزملائها المصريين، وبعد أن يئس اضطر للاتصال بصديق له فى باريس قام بدوره بالاتصال من باريس بيخت له فى البحر الأحمر طلب منه الاتجاه إلى المركب المحترقة وإنقاذ من عليها..!

ومرة أخرى فى الزعفرانة ابتلع البحر شابًا وفتاة على مرأى من زملائهما على البر دون أن يجدا مسئولاً واحدًا يقوم بإنقاذهما بعد أن أبلغوا أنهما مصريان..

ولا أعرف من المسئول: هل هى الأجهزة التى لا تخاف إلا من الخواجات أو أنها مسئوليتنا نحن لأننا مصريون؟ وفى كل الأحوال صباح الخير يابلد!

المريض بين المصارحة والرحمة

هذا سؤال يمكن أن يجرى على الألسنة كل يوم فى زمن انتشرت فيه الأورام وترددت فيه كثيرًا كلمة السرطان التى لم يكن أحد يرددها وربما لايعرفها. وقد مات كثيرون دون أن يعرفوا حقيقة مرضهم على أساس أنه لافرق بين إذا عرف المريض بحقيقة مرضه أو جهل بها. لكن بسبب قضايا التعويض التى تتربص بخطأ أى دكتور فى الغرب أصبح من أساسيات الطب فى الخارج أن يعرف المريض قبل أن يمد الجراح يده عليه بحقيقة المرض الذى يواجهه مهما كانت خطورته، بل إن بعض الأطباء تصل مصارحتهم إلى درجة إعلان ضآلة نسبة العملية التى سيجريها،وعلى المريض معرفة ذلك بل والتوقيع على إقرار يفيد بهذه المعرفة.

والمشكلة أن هناك مرضى يجد أهاليهم صعوبة بالغة فى مصارحتهم بمرضهم، فيفضل الأهل إخفاء الحقيقة..وقد جربت ذلك مع الراحلة زوجتى عندما ذهبت بها إلى طبيب فى مدينة برمنجهام فى إنجلترا، لا أنسى اسمه لأنه على إسم المخرج الكبير "هيتشكوك".. فقد قرأت فى عينيه النتيجة فكان أن رجوته فى صمت ألا يجعلها تعرف.فمهما كان الأمر ففى داخلنا الثقة بقدرة الحق التى فوق كل قدرة البشر.

وقد حكى لى صديق أن له أخًا يعمل أستاذا فى الجامعة تجاوز سن الـ ٧٣ وأنه اشتكى من متاعب فى معدته، وأجرى تحاليل أبلغوا صديقى بنتائجها، وقد كشفت عن إصابة الأخ بمرض السرطان فى البنكرياس والكبد وفى حالة

متأخرة.. وأرسل صديقى تقريرًا بحالة أخيه إلى أحد المراكز المتخصصة فى فرنسا فجاءه الرد أن يريحوا أنفسهم ومريضهم ولا يجهدوه بالسفر.. وبالطبع كانت الرسالة مفهومة.

لكن المهم أن كل ذلك جرى دون معرفة الأستاذ الجامعى بنتائج التحاليل، فبعد ظهور نتيجتها اتفق الأهل مع الطبيب المعالج على عدم مصارحة المريض بما كشفت عنه التحاليل، وإنما تم إبلاغه بأنه يحتاج إلى نظام غذائى يتفادى فيه بعض الممنوعات.. وليس معروفا إذا كان المريض قد صدق ماقيل له عن يقين أو أنه أقنع نفسه بما قيل إلا أنه فى كلا الحالتين راح يمارس عمله بشكل عادى متحملاً بهدوء ما كان يشعر به من آلام تهاجمه بين الحين والآخر..

وقبل ايام من سماعى هذه الحكاية كانت هناك حالة أخرى بطلها رجل أعمال شهير يعيش حياة تبدو صحية، فله فيللا فى جزيرة شهيرة فى إسبانيا وقد تعود عدم السهر واختيار مأكولاته وممارسة الرياضة،ثم فجأة أحس بألام فى معدته، وعند الكشف عليه فوجئ بالطبيب ينصحه بالسفر إلى الخارج.. وبعد ساعات كان على طائرته الخاصة التى نقلته إلى أمريكا حيث الصراحة حتمية ومن ثم ابلغوه بأنه مصاب بالسرطان فى أعضاء خطيرة. وفى ساعات تغيرت حال صاحبنا فلم يعد قادرًا على السير.. وقرر الانتقال إلى لندن للإقامة هناك والحصول على العلاج الكيماوى الذى وضعوا برتوكوله فى أمريكا.. وفى كل مرة نتصل به يبدو أنه أصبح أضعف حالاً، فقد تخلى عن عمله واصبح مهموما بنفسه..

كانت حالة الاثنين رجل الجامعة ورجل المال تبدو متطابقتين، فهما فى سن واحدة (فوق السبعين) والمرض نفسه تقريبًا، ولكن أحدهما لم يعرف حقيقة مرضه وراح يمارس حياته بالطريقة العادية فى انتظار وصول الموت، بينما الآخر عرف بحقيقة مرضه فانهار داخليًا وتوقف عن عمله وأصبح فى حالة يصعب فيها على كل من سمع صوته الذى كان يجلجل بالقوة وأصبح ضعيفا متهالكا، وفى كلا الحالتين جاءت النهاية واحدة. فقد مات رجل الأعمال،وبعد أسبوعين لحق به رجل الجامعة.

لكن أيهما الأفضل: الذى عرف أم الذى لم يعرف؟ القضية قديمة كما قلت وقد اختلفوا عليها. والمدرسة الأمريكية فى الطب هى التى ابتدعت ضرورة مصارحة المريض بمرضه مهما كانت الظروف ولكن فى مقابل مدرسة المصارحة هناك مدرسة الرحمة التى ترى إخفاء الحقيقة عن المريض، خاصة إذا كان فى سن كبيرة وكان مرضه خطيرًا وفى حالة متأخرة يصعب إن لم يصبح مستحيلاً شفاؤه منه، وكانت قدراته المالية ليست كبيرة فيوفر فلوسه.

شغلنى هذا الموضوع، خاصة مع انتشار مرض السرطان بصورة كبيرة وما يحدثه اكتشاف هذا المرض لدى المريض من انقلاب فى حياته، وهو ما يجعلنى أميل إلى رأى الإخفاء فالنهاية فى الحالتين واحدة.. والفرق أن أحدهما يموت متأثرًا بمرضه والثانى يموت معذبًا بمعرفة مرضه.. وتصبح المعرفة نفسها هى المرض الأسوأ

أنواع من اللصوص

ذات يوم نشرت صحيفة «كيهان» الإيرانية أن رجلاً مسنًا (٦٨ عاما) تم بتر أربع أصابع من يده اليمنى «فى احتفال علنى» شهده عدد من الإيرانيين.. كان الرجل قد ضبط وهو يسرق. ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يدان فيها بالسرقة، وإنما سبق ضبطه أكثر من مرة، وهو يمارس هوايته فى السرقة.

ووفقًا للقوانين المطبقة فى ايران، فإن الشخص الذى يتكرر ضبطه وهو يسرق ويدان توقع عليه عقوبة بترالأصابع.

لكن الذى لفت نظرى أن الرجل، فى جميع المرات التى ضبط فيها وهو يسرق، كان يسرق شيئًا واحدًا لا يسرق غيره، وهو المواشى.. ففى كل الحالات لم يخرج عن الخط الذى التزم به واصبح يعشقه.

حرامى مواشى.. هذا نوع من السرقات ليس سهلاً، فالجاموسة أو البقرة التى سرقها لا يستطيع إخفاءها عن العيون، بل عليه أن يسحبها خلفه، صحيح أنه لا صوت لها، كما أن هذه الماشية لا يهمها من يسحبها لأنها لا تعرف صاحبها، كما يحدث فى بعض الحيوانات الأخرى، ولكن الحرامى لن يستطيع الاستفادة من البقرة أو الجاموسة التى سرقها إلا إذا باعها لتاجر ماشية متخصص، يعرف بالتأكيد أنه يشترى بضاعة مسروقة يضطر صاحبها لبيعها بأى سعر لأنها ليست ساعة أو تليفونًا محمولاً يستطيع الحرامى دسّه فى جيبه ويتنقل به مطمئنًا إلى أن يعثر على مشترٍ يدفع له الثمن الذى يريده، فالعملية ليست مريحة ولا ممتعة، ومع ذلك فإن الرجل لا يجد متعته ومزاجه إلا فى هذا النوع من السرقة.

وإذا نظرنا إلى المجتمع، فإننا نجد أنشطة الناس فيه متنوعة ومختلفة، وقد اختار الكثيرون نشاطهم دون مكتب تنسيق، مثل الذى يحدد للحاصلين على الثانوية العامة الكليات التى يدخلونها بحسب مجموعهم. فالناس تتعدد أنشطتهم وتتنوع باختبار فردى فى أغلب الحالات، لكننا عندما نتأمل فى النتيجة نجد أنهم وزعوا على جميع المهن والأعمال. ومثل أية مهنة تتعدد فيها التخصصات، كذلك يحدث بين الحرامية.. فالحرامية لا يسرقون نوعًا واحدًا، وإنما هناك تخصصات عديدة، هناك لصوص الخزائن ولصوص السيارات ولصوص البيوت ولصوص المجوهرات، والنشالون، وهم بدورهم أنواع ودرجات، وهناك حرامى الفراخ وحرامى الحمير وحرامى الغسيل الذى يجد مزاجه فى القفز إلى البلكونات والأسطح وجمع الملابس المنشورة والفرار بها.

واختلاف اللصوص رحمة بالبشر، وإلا فلك أن تتصور لو تخصص اللصوص فى النشل أو فى السيارات أو فى تليفونات المحمول.. إلخ.

وكما دخلت التكنولوجيا مناحى الحياة، كذلك أصبح هناك لصوص يسرقون بالريموت كونترول والاقتراض والنصب.. إنه مجتمع كبير، سمك فى بحر، تفلت فيه الحيتان كثيرًا، ويسقط فيه غالبًا حرامية الفراخ والماشية!

تعذيب سمكة!

الخبر أثار الجميع فقد تناوله بالتعليق - حسب تواريخ النشر - الأساتذة الكبار أحمد بهجت، ونجيب محفوظ، وأنيس منصور.. فلم يكن عاديا ما نقلته وكالة رويترز عن تولى الشرطة البولندية التحقيق مع ثلاثة صيادين بولنديين أولاً للاشتباه فى صيدهم سمكة بشكل غير قانونى، وثانيًا بإساءة معاملتها عندما قاموا بسكب الشمبانيا فى فم السمكة بعد اصطيادها طبعًا، وهذا يمثل جنحة تعد على كائن حى حسب القانون البولندى، وإن كان دفاع المتهمين الثلاثة بأنهم عثروا على السمكة شبه ميتة وحاولوا إفاقتها وإعادتها إلى الوعى بسكب الشمبانيا فى فمها.

وهى ليست أول حادث من نوعه ففى فنلندا حدث أن كان أحد الأطباء البيطريين يمر فى سوق بيع الأسماك فى العاصمة الفنلندية هلسنكى عندما لاحظ أن السمك الذى يبيعه أحد الباعة مازال يحرك زعانفه ويهز ذيله. وبالنسبة للمشترى المصرى فهذا عز الطلب لأنه دليل أن السمكة خرجت للتو من الماء ومازالت طازة لم يمسسها ثلج أو أى وسائل الحفظ.. أما بالنسبة للطبيب الفنلندى فإن تحريك السمك لزعانفه وهز ذيله يعنى أن السمك يتلوى ألما ولايجوز للبائع أن يعرض هذا المنظر المثير على الناس! وماكاد البائع يسمع هذا الكلام من الطبيب الذى أصر على تحرير محضر للحالة التى أمسك فيها السمك متلبسًا بالتلوى من الألم، حتى سارع إلى الإمساك بقطعة من الخشب راح يضرب بها رءوس السمك للقضاء تمامًا على آلامه.. وصرخ الطبيب مما يفعله البائع واستنجد بالشرطة طالبًا إثبات الجريمة الجديدة جريمة اعتداء البائع على

السمك بالضرب والتعذيب! وجاءت الشرطة وقبضت على البائع وحررت له محضرين الأول بفتح الشباك والثانى باغلاقه، أقصد الأول بجعل السمك يتعذب من الألم، والثانى بتعذيبه بالضرب للتخلص من آلامه.. وأمام المحكمة تم تغريم البائع مايعادل ٢٠٠ دولار (مائة دولار عن كل جريمة من الجريمتين)..

وهى قضية تحتاج إلى خبراء فى النفس يفسرون لنا كيف أن هذه النفوس الشفافة الرقيقة تتلذذ وتستمتع بمتابعة رياضات العنف بين البشر فى حلبات الملاكمة والمصارعة، وتتعامى عما يحدث يوميًا للأطفال الفلسطينيين وتدمير بيوتهم وتشريدهم، ولايطيق رؤية سمكة تتعذب؟!

جائزة تطيل العمر

ملاحظة غريبة توصل إليها الذين يبحثون فى مختلف أسباب إطالة العمر، وهى أن معظم الذين حصلوا من الممثلين على جائزة الأوسكار يعيشون فى المتوسط أربع سنوات أكثر ممن لم يحصلوا عليها...!

هذه الدراسة أوضحت أن حاصلى جوائز الاوسكار يعيشون فى المتوسط ٧٩،٧ سنة، على حين أن متوسط العمر بالنسبة لزملائهم الآخرين الذين لم يحصلوا على الأوسكار هو ٧٥،٨ سنة.. وأكثر من ذلك فإن الذين يحصلون على هذه الجائزة أكثر من مرة يعيشون فى المتوسط ست سنوات أكثر !

الأمثلة عديدة.. منها «جرير جارسون» التى ماتت عن ٩٢ سنة، وكاترين هيبورن التى حصلت على أربع جوائز أوسكار وماتت عن ٩٦ سنة، وانتونى كوين حصل على الأوسكار مرتين وكان يأمل أن يعيش حتى يبلغ الرابعة والتسعين ولكنه مات عن عمر ٨٦ سنة.. ومارلون براندو الذى مات أخيرًا عن ٨٠ سنة، وكان من الغريب أنه قد امتدت الحياة به إلى هذه السنين مع الوزن الزائد الكبير الذى بلغه.

ولكن لماذا ؟ ما العلاقة بين جائزة الاوسكار وطول العمر ؟! وإذا كان ذلك يحدث للذين يفوزون بالأوسكار فلابد أنه يحدث للحاصلين على جوائز نوبل !

بالنسبة للسبب، فقد فسر الذين قاموا بهذه الدراسة (ترجع إلى مايو عام ٢٠٠١) ذلك بأن جائزة أوسكار تعنى للممثل أعلى ما يمكن أن يحصل عليه.. وهذا

يجعله يشعر بأنه قدم فنا عّاليًا مما يعطيه الإحساس بالرضا عن ذاته. هذا الإحساس هو سبب طول العمر.

وقد وجدوا أن جائزة نوبل تختلف عن جائزة الأوسكار من حيث السن التى ينال فيها الفائز الجائزة.. فالأوسكار يحصل عليه الممثل أو الممثلة فى سن صغيرة نسبيًا بينما تجىء جائزة نوبل للفائز بها عادة فى سن متقدمة.. طبعًا باستثناء العالم المصرى د. أحمد زويل الذى نالها فى سن الخمسينيات.. مع ذلك فعدد كبير من العلماء الذين نالوا نوبل امتدت بهم الحياة عدة سنوات بعد فوزهم بالجائزة مما يعكس أنهم الآخرون سعدوا بالجائزة وأحسوا بشعور الرضا عن النفس..

هذا يعنى فى الواقع أن جوائز الدولة ليست فى قيمتها المادية وإنما فى تأثيرها النفسى على الفائزين وجعلهم يشعرون بأنهم حققوا كثيرًا مما كانوا يتطلعون إليه وأصبحوا يعيشون فى رضا مع النفس.

الأستاذ والمدينة

ذات يوم تعرضت المدينة لكارثة أفقدت أهلها السمع، ونتيجة لذلك أصبحوا يتكلمون حتى فى وقت واحد، ولكن لايسمعون فى الوقت الذى لم يعد لكلامهم أى معنى، وتصادف أن كان خارج المدينة يوم الكارثة أربعة: راقصة ومجرم ومتسول وحرامى،وعندما عادوا إلى المدينة اكتشفوا ماحدث لأهلها فكان أن انتهزوا الفرصة وقرروا أن يصبحوا مسؤلو المدينة وحكامها بعد أن أصبحوا وحدهم الذين يتكلمون.

وأصبحت الراقصة الملكة، والمجرم الوزير، والمتسول مسئول الخزانة وجابى الضرائب،والحرامى القاضى. ولكن لم يدم ذلك الحال طويلاً.. فقد وصل "الأستاذ" إلى المدينة.وكان قد أوفدته إحدى المنظمات الدولية لدراسة هذه الحالة الغريبة التى أصبحت عليها المدينة وسكانها. واكتشف الأستاذ أن أهل المدينة هم سبب ماحل بهم والمصيبة التى أصابتهم.فالله منحهم نعمة السمع ولكنهم انشغلوا بأشياء تافهة وارتضوا عدم استخدام هذه النعمة.فهم دائمًا راضون بأى شىء وكل شىء. ومن طول فترة عدم السمع ضعفت الحاسة التى وهبها الله لهم،وعندما تعرضت المدينة للكارثة التى جرت، كان طبيعى أن تؤثر على أضعف مافى سكانها فأفقدتهم السمع !

وكانت مشكلة واجهها الأستاذ عندما جرَّب دواء جعل البعض يسمع ولكن لايتكلم، والبعض الآخرلايسمع ولكن يتكلم، وفريق آخر لا يسمع ولا يتكلم.. وجمع

الأستاذ مسؤلو المدينة الأربعة (الراقصة والمجرم والمتسول والحرامى) وسألهم أيها الأفضل: أن يحكموا مدينة يسمع أهلها دون أن يتكلموا أم يتكلم أهلها من غير أن يسمعوا ؟وتزعم الوزير الرأى الذى يقول أنه يفضل مدينة لاتتكلم.. مدينة أفواهها مغلقة حتى وإن كانت آذان أهلها مفتوحة. ووافق الثلاثة الأخرون رأى الوزير،فليس أسهل من حكم مدينة تسمع ولا تتكلم. ولكنهم نسوا أنه مع مرور الأيام ستخرج المدينة عن صمتها.. وسيستفز ما يسمعونه ويرونه ألسنتهم فتتكلم وتصرخ.

هذا هو ملخص قصة مسرحية "الأستاذ " التى كتبها سعد وهبة وأخرجها ومثل دور الوزير جميل راتب،وقدمها المسرح القومى فى مارس ١٩٨١ قبل رحيل أنور السادات.

فى أوراق المسرح القومى ذخائر تبحث عن بطل يخرجها من تحت التراب إلا إذا كانت احترقت !

الثورات والإصلاح

فى تاريخ العالم عدد من الثورات وعدد أكبر كثيرًا من الانقلابات.. والانقلاب هو حركة عسكرية بهدف أساسى وهو الاستيلاء على السلطة، أما الثورة بالمعنى السائد فتعنى الخروج على أوضاع قائمة فى مجتمع إلى وضع قد يكون أفضل أو أسوأ من القائم..

ومع أن الثورة هدفها إصلاحى إلا أن كثيرًا من الذين تتبعوا التاريخ وجدوا أن معظم الثورات التى قامت كان نتيجتها تعطيل حركة التقدم فى مجتمعاتها، وأن الإصلاحات الحقيقية لهذه المجتمعات بدأت بعد انحسار ظروف هذه الثورات.

فالثورة الفرنسية وهى من أشهر الثورات لم تستقر إلا بعد تقلبات عديدة استمرت نحو قرن، تنقلت خلالها من الجمهورية الأولى (١٧٩٢ إلى ١٨٠٤) ثم إلى الإمبراطورية الأولى (١٨٠٤ - ١٨٣٠) إلى الملكية (١٨٣٠ - ١٨٤٨) ثم إلى الجمهورية الثانية (١٨٤٨ - ١٨٥٢) فالإمبراطورية الثانية (١٨٥٢ - ١٨٧٠) فالجمهورية الثالثة (١٨٧٠ - ١٩٤٠) ثم فترة الحرب العالمية والكفاح من أجل تحرير فرنسا المحتلة، فالجمهورية الرابعة عام ١٩٤٦ وكانت فى الواقع امتدادًا للجمهورية الثالثة، وأخيرًا الجمهورية الخامسة عام ١٩٥٨ وهى التى استمرت حتى اليوم.. إلا أن النمو الاقتصادى والصناعى الحقيقى لفرنسا لم يبدأ إلا بعد الحرب العالمية مع الجمهورية الرابعة.

والثورة الشيوعية فى روسيا رغم الإمبراطورية السوفيتية التى أقامتها بعد الحرب العالمية الثانية والتقدم الذى حققته عسكريًا وعلميًا وتوَّجته بإطلاق أول رائد فضاء عام ١٩٦١ إلا أن المواطن السوفيتى فى مختلف دول الإمبراطورية لم يشعر بأى إصلاح حقيقى يمس حريته وحقه فى العمل أوالسكن أوالتنقل، فى الوقت الذى نقل إليه التليفزيون صورة الحياة المرفهة التى ينعم بها المواطن فى دول الغرب، مما كان من نتيجته عدم تصدى هذا المواطن للدفاع عن عقيدته الشيوعية التى انهارت وبدأت بعدها الإصلاحات الحقيقية التى تمس المواطن

والثورة الصينية رغم أنها تحمل لافتة الشيوعية ولكن " بطريقتها الخاصة " المنغمسة فى الإقتصاد الحر. وكل الإصلاحات الحقيقية التى حققتها الصين والصورة الرائعة التى ظهرت بها فى الدورة الأولمبية وفرضت احترامها على العالم. هذه الإصلاحات لم تحدث إلا بعد ٣٠ سنة على ثورة ماوتسى تونج وظهور جيل جديد تعلم الدرس وقام بالتغيير حتى بالقوة التى جعلته يسحق بالدبابات الذين عارضوا الانفتاح فى يونيو ١٩٨٩.

وعندما نتابع اليوم الدول التى تقدمت نجد أن تقدمها تحقق بدون ثورات من النوع التقليدى.. اليابان وألمانيا وسنغافورة وماليزيا وأندونيسيا وباقى النمور الآسيوية وغيرها من الدول الموجودة على خريطة العالم حققت ما حققته بدون ثورات، وهو ماجعل المفكرون السياسيون يرون أن كل مجتمع له خاصية التطور والتقدم إلى الأمام.. صحيح أن حركة الثورات أسرع ولكن أخطاءها أفدح، أما خطوات الإصلاح فإنها قد تكون أبطأ ولكن تكون عادة أصح وأفضل.؟

الصديق.

توقفت طويلاً أمام نعى الفنان الكبير محمود مرسى الذى نشرته صفحة وفيات «الأهرام» يوم ٢٥ أبريل ٢٠٠٤ وقد تعودت قراءة هذه الصفحة منذ تجاوزت الخمسين بحثًا عن قريب أو شخص أعرفه لأعزيه فى مصابه.. وهناك نوعية من الناس تقرأ نعى أية شخصية لمعرفة أصلها وفصلها والجذور التى تنتمى إليها والأقارب الفقراء المجهولين.. إلخ.

ولكن هناك جهات استخبارية وأمنية تقرأ صفحة الوفيات بتركيز شديد لمعرفة شبكة العلاقات التى يكشف عنها النعى..

وحتى يونيو ٦٧ كانت صفحة الوفيات تتضمن كل أقارب المتوفى الذين يخدمون فى القوات المسلحة والأسلحة والرتب التى يحملونها، وقد قيل إن المخابرات الإسرائيلية (الموساد) كانت تخصص عددًا من العاملين فيها لقراءة هذه الصفحة واستخراج أسماء العسكريين وتحديد مواقعهم وصلاتهم، ومن خلال نشر هذه الأسماء استطاعت إسرائيل تحديد أسماء قادة الجيش وتخصصاتهم. وعندما تنبهت المخابرات المصرية لذلك بعد الهزيمة - أصبح ممنوعًا نشر أسماء العسكريين برتبهم فى الوفيات.

والعادة أن يتضمن نعى المتوفى أسماء زوجته وأولاده وأقاربه.. وهكذا بدأ النص الخاص بالفنان محمود مرسى، لكنه إضافة إلى الأقارب تضمن النعى

أيضًا أسماء ١٢ شخصًا ذكر النعى أنهم أصدقاء الفنان.. وهى أول مرة على ما أتذكر يتضمن نعى أحد المتوفين أسماء أصدقاء المتوفى، الأمر الذى يجعلنى أعتقد أن الفنان محمود مرسى نفسه هو الذى كتب قبل وفاته نعيه بنفسه حتى لا يرهق الذين سيجلسون بعد موته ويحاولون تذكر أسماء الأسرة، وعادة ما ينسون بعض الأسماء ويعيدون فى أيام تالية نشر ملحق متضمن أسماء كانت قد سقطت.

محمود مرسى أراح من بعده وترك لهم نعيه وضمنه أصدقاءه باعتبار أنهم الأسرة الحقيقية التى أصبح ينتمى إليها رجل فى سنه تجاوز الثمانين سنة.

إن الإنسان لا يختار أولاده ولا أقاربه، ولكنه على العكس يختار أصدقاءه.. والصداقة الناجحة ثروة كبيرة لا تقدر بثمن.. وقد اشتهر عن الفنان محمود مرسى حرصه الشديد على اختيار أدواره إلى درجة أنه لم يكن يقدم أكثر من عمل واحد طوال السنة يشغله شهرين أو ثلاثة.. فما الذى جعله يتحمل باقى الأشهر سوى اكتفائه بالأصدقاء الذين يستريح إلى جلستهم ويملأون وقت فراغه بمناقشاتهم الموضوعية والجادة فيكون ذلك غذاء يتزود به، بالإضافة إلى روابط العواطف الصادقة التى تجمع بين الأصدقاء.

إنها سابقة لم يفعلها أحد غيره كما أتذكر.. وهى تحتاج إلى فنان صادق مثل محمود مرسى ليفعلها، ليذكر أصدقاءه الذين افتقدهم والذين افتقدوه، وهم فى الحقيقة الأسرة الحقيقية التى أصبح ينتمى إليها بكل الحب والصفاء.

حصان طروادة

أصبح تقليدا فى الحروب الحديثة إرسال جماعة من القوات الخاصة تسبق الهجوم، وتتوغل سرًا فى أرض العدو للقيام بعمليات تمنع العدو من التصدى للقوات المهاجمة، أو تلفت الأنظار عن الهجوم الحقيقى، وفى كثير من الأحيان تجرى عمليات إنزال بالمظلات لعدد كبير من القوات داخل أراضى العدو للقيام بالعمليات التمهيدية التى تسبق الهجوم الكبير.

ولا يختلف هذا التفكير الذى أصبحنا نراه فى الحروب الحديثة عن الأساس الذى قامت عليه فكرة حصان طروادة.ففى كل الحروب يسبق يوم بدء الحرب انطلاق قوات خاصة استطلاعية لمعرفة آخر أوضاع العدو. حدث ذلك أيضًا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ فقبل بدء ساعة الصفر الثانية بعد ظهر السبت السادس من أكتوبر ١٩٧٣ خرجت قبل ثلاثة أيام قوات استطلاع عبرت إلى سيناء فى الليل وقامت بجمع المعلومات عن العدو وقدمتها للقوات المصرية التى عبرت مما ساعدها على تحديد مراكز الالتحام

وترجع أسطورة هذا الحصان إلى "حرب طروادة" التى قامت بين اليونانيين وبين سكان مدينة طروادة فى أناتوليا (حاليًا أحد أجزاء تركيا) وقد استمرت هذه الحرب عشر سنوات متواصلة دون أن يتمكن اليونانيون الذين وصلوا فى ألف مركب من اقتحام أسوار المدينة الحصينة. وأخيرًا اقترح عليهم «أوليس» فيلسوف أثينا استخدام الحيلة والمكر، ذلك أنه كان معروفًا عن أهل طروادة تقديسهم

للجياد، فكان الاقتراح بناء حصان خشبى كبير قاموا بإخفاء عدد من أفضل المحاربين والفرسان داخله، وأعقب ذلك انسحاب السفن اليونانية تاركين الحصان الخشبى على الشاطئ.

وعن طريق عميل يونانى اسمه »سينون «استطاع العميل إقناع سكان طروادة بإدخال الحصان الذى تركه اليونانيون إلى داخل مدينتهم بعد أن أقنعهم بإنهم إذا فعلوا ذلك فسوف يكتسبون بركات الآلهة. وفى الليل، قام «سينون» بإخراج الفرسان والمقاتلين المختبئين داخل الحصان، وانطلق هؤلاء المقاتلون فهاجموا حراس أبواب السور وقتلوهم، وفتحوا أبواب المدينة فى الوقت الذى ظهر فيه عدد كبير من اليونانيين الذين كانوا مختبئين واقتحموا الأبواب المفتوحة وفاجأوا سكان المدينة وقاتلوهم وقتلوهم. وبعد ذلك قاموا كما تقول الحكاية بإحراق المدينة بين عامى ١٢٢٠ و١١٨٠ قبل الميلاد.

وإذا كانت الحكاية تعبر عن كسب الحروب بالخديعة والعملاء فإنها أيضًا تعكس فكر العمليات الخاصة والإنزال بالمظلات التى تجرى اليوم، ولكن قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة عاشت وستعيش بعدها حكاية حصان طروادة.

حتى لاتخاف من القطط

بقدر حب الكثيرين من شعوب العالم للكلاب والقطط إلى درجة وجود محال ضخمة متخصصة فى بيع لوازم هذه الحيوانات، فان هناك أفرادًا آخرين تثير هذه الحيوانات، خاصة القطط، حساسيتهم وتجعلهم ينفرون منها بشدة إلى درجة الخوف.. والغريب أن هذه القطط تعرف على ما يبدو من يخافها ويتحاشاها فتتعمد التحرش به!

وخوف بعض الناس من القطط له أسبابه العلمية، فقد توصل الباحثون إلى وجود غدد فى جلود القطط تفرز نوعًا من البروتين يسبب تفاعلات ويثير الحساسية لدى بعض الناس حين اقترابهم منها.

ومن أعراض هذه الحساسية أثارة نوبات الربو والعطس وحكة الجلد وظهور الدموع لدى الذين يتأثرون بتلك الغدد الموجودة فى جلود القطط. لكننى قرأت أخيرًا أن هناك محاولات مكثفة تجرى هذه الأيام لإنتاج أنواع من القطط الخالية من كل ما يثير الحساسية، وهذه المحاولات يقودها عالم أمريكى من أصل صينى أشار إلى إمكان عرض هذه القطط للبيع للجمهور فى فترة أقل من عامين بسعر يبلغ ألف دولار للقطة!

ودون الدخول فى تفاصيل فنية معقدة خاصة بإنتاج هذه القطط، وهو مشروع تعمل فيه أكثر من شركة، فإن المشروع يقوم على إبطال تأثير «الجين» الذى يقوم بإنتاج البروتين والذى يثير حساسية الأفراد من القطط.. ثم بعد ذلك تأتى

المرحلة الثانية من المشروع باستنساخ ذكر وأنثى من هذه القطط الخالية من مثيرات الحساسية وترك الزوجين يتكاثران بالطريقة التقليدية بعد ذلك.

والمعروف أنه تم استنساخ عدد من الحيوانات مثل العجول (أشهرها النعجة دوللى) والضفادع والقطط، ولكن الذى لم يوفق فيه الباحثون حتى اليوم هو استنساخ الكلاب رغم أن سوق الكلاب هى أكبر سوق يمكن ان تحقق دخلاً لو عرف الاستنساخ طريقه إليها!

واليابانى يعشق الكلاب، وقد توصلت الشركات إلى تعويضه عن الكلاب الحقيقية بكلاب من نوع «الروبوت» التى يمكن أن يتعامل معها على أنها حقيقية، ولكن دون أن تكون حقيقية.. فهى تنبح وتجرى خلفه إذا أراد وتجلس وتستمع إليه عندما يتكلم.. وهذا أهم وظيفة يريدها اليابانى من الكلاب.. أن يبثها شكواه ومشاعره وهمومه وينظر إلى عيونها ويشعر أنها حزينة لحزنه أو سعيدة لسعادته..!

حضارة الخوف

بدأت أهم الاكتشافات بالملاحظة.. فالمصريون القدماء لاحظوا ظهور نجم فى السماء ثم اختفاءه ثم عودته إلى الظهور مرة ثانية.. وعندما تابعوا الملاحظة وحسبوا الفترة بين ظهور النجم وعودته وجدوا أنها حوالى ٣٦٥ يومًا، وبذلك كان أول تقويم للزمن.

وعندما جلس أرشميدس يستمتع بحمامه ولاحظ طفو الماء أطلق صرخته المشهورة: وجدتها وجدتها.. وكان يقصد قاعدة أو نظرية الطفو.. وعندما لاحظ العالم نيوتن سقوط التفاحة فإنه توصل من هذه الملاحظة إلى قانون الجاذبية.. وقد بدأ اختراع الطيران بملاحظة الطيور فى السماء وأجنحتها، وهكذا فإن كثيرًا من الاكتشافات بدأ بالملاحظة. لكن هناك اكتشافات واختراعات أكثر كان دافعها الخوف.. فالزراعة بدأت عندما خاف الإنسان من الجوع وبدأ يبحث عن طعامه.. واكتشافات الأدوية والعلاجات المختلفة كان محركها الخوف من الأمراض.. والقدماء المصريون عندما لاحظوا تحلل الأجسام خافوا على أجسادهم من التحلل بعد الموت واكتشفوا التحنيط وحفظ المومياوات من التحلل.

وهكذا انطلقت حضارة الإنسان وحلقت بجناحين من الملاحظة والخوف.. وفى السنوات الأخيرة أصبح العالم يعيش مرحلة جديدة أساسها الخوف من الإرهاب.. وكل الاختراعات التى تم التوصل إليها لاكتشاف المتفجرات المختفية والإجراءات التى أصبحت تطبق فى المطارات وعند دخول كثير من المؤسسات

سببها الخوف من الارهاب.. وهو خوف وصل إلى أكبر قوة فى العالم وأصبح يشكل حياتها بمفاهيم جديدة.

ولكن الخوف نوعان.. فهناك الخوف الإيجابى والخوف السلبى.والخوف الإيجابى هو الذى يدفع إلى اكتشاف تقدم الحياة، أما الخوف السلبى فهو يؤدى غالبًا إلى فقدان الحياة.

مررت بتجربة الخوف السلبى مرة وأدركت كيف يمكن أن يموت من يجيد السباحة غرقًا.. كنا فى شرم الشيخ وخرجنا لمشاهدة غابات المرجان فى قاع البحر مستخدمين الأجهزة الخاصة بالرؤية فى الماء والتنفس أثناء الطفو.. كانت أول مرة استخدم فيها هذه الأجهزة.. وعندما نزلت من القارب الذى حملنا إلى وسط الماء وأخرجت وجهى من الماء لاحظت ابتعاد القارب عنا بسرعة.. وسألت مرافقًا كان معنا - زوجتى وأنا - فقال أن القارب سيعود بعد ساعة.. وفى ثوان أحسست بالخوف.. وبدأت وسط الماء أغرق.. وبدأت اشعر بالتعب. كأننى أحمل الهرم فوق كتفى.. ونسيت كل قواعد السباحة التى تعلمتها.. لم يعد هناك غير الخوف.. وزاد إحساسى بالتعب وبالمجهود المضنى الذى أبذله عندما أحرك يدًا أو قدمًا.. وتمنيت أن أغرق لارتاح من آلامى ومن تعبى.. وهيأت نفسى بالفعل للغرق باعتباره الباب إلى الراحة.. وفى هذه اللحظة اقترب مركب من وراء صخرة كانت تسد علينا الرؤية.. ونادت زوجتى المركب التى جاءت ولولاها لكنت غرقت بالفعل.. ولم يكن هناك فى الواقع ما يجعلنى أغرق.. فلم تكن هناك أمواج عالية، ولم أكن جاهلاً بالسباحة، ولكنه الخوف السلبى القاتل.

اللعب فى الدماغ

العمل الجيد خير من يروج ويدعو لنفسه.. وما سمعته من الآخرين وما كتبوه هو الذى دفعنى لمشاهدة مسرحية اللعب فى الدماغ خاصة بعد أن قرأت عنها مقالاً طويلاً نشرته جريدة نيويورك تايمز (عدد ١٨ مارس) باعتبارها لونًا جديدًا من المسرحيات السياسية التى تعبر عن الواقع الذى تعيشه المنطقة.

أبدأ بالإشادة بمسرح الهناجر الذى يعرض المسرحية وكانت أول مرة أدخله وهو عبارة عن قاعة فسيحة تضم ٢٥٠ فوتيلاً من القطيفة الحمراء وكلها متشابهة، وسعر التذكرة موحد عشرة جنيهات بدون أرقام، ولهذا يستطيع المتفرج اختيار المكان الذى يستمتع منه أكثر بمتابعة العرض.. فالجمهور لم يأت ليتفرج على الراقصة أو يتحدث بالمحمول بصوت عال، كما أصبحت العادة فى كثير من المسارح ودور السينما، وإنما للاستمتاع بفن مجموعة من الشباب هواة الفن وتريد أن تثبت وجودها فى الساحة.

المسرحية كما قال لى الفنان خالد الصاوى مؤلفها ومخرجها وممثلها بدأ فى كتابتها فى شهر مارس ٢٠٠٣ (قبل سنة من نشر هذه الكلمات ولم يكن خالد الصاوى فى ذلك الوقت قد وصل إلى الشهرة والقدر الفنى الذى عليه حاليًا).. الصاوى بدأ كتابة مسرحية اللعب فى الدماغ فى ظل أحداث الغزو الأمريكى البريطانى للعراق وقد أمضى فى كتابتها خمسة أشهر وفى بروفاتها أربعة أشهر أخرى تم خلالها اجراء تغييرات عديدة فى ضوء تطورات الحدث الذى ولدت ونمت فى رحمه..

ولهذا ينطلق العمل من مؤتمر صحفى تستضيف فيه قناة الديمقراطية فى برنامجها "وحشتونا" الجنرال "تومى فوكس" قائد القوات الأمريكية التى غزت العراق.. وهو فى المسرحية رجل يحاول جهده بلغته العربية المكسرة إخفاء شروره وأن يكون ابن بلد يكسب قلوب المشاهدين ويبدأ بالرد على سؤال المذيعة: لماذا جاءوا إلى العراق فيقول: تعرفوا ليه جينا العراق.. علشان بنحبكم.. والله العظيم علشان بنحبكم.. تلاته بالله العظيم علشان بنحبكم.. طب على الطلاق أحنا جينا علشان بنحبكم!!.

وفى تفسير مماثل يقول أمريكى آخر مدنى: إحنا قلنا بدل مرمطتكم واللطعة على أبواب سفاراتنا علشان تيجوا عندنا امريكا.. احنا حبينا نريحكم ونجيلكم إحنا!..

يملأ المسرحية حركة ونشاطًا وحيوية ١٢ نجمًا من الشباب جميعهم أبطال بحيث يصعب فى هذا العمل الجماعى المتناغم الأسرى تفضيل نجم أو نجمة وهم على حسب الظهور: سيد الجنارى، وشهاب إبراهيم، ونرمين زعزع، وخالد الصاوى، ومحمد عبد الوهاب، واوديت شاكر، وحمادة بركات، وعطية الدرديرى، وفاطمة السردى، وهيثم عامر، وحمادة شوشو، وعزت محمد، وبينهم كفاءات يمكن أن تعلو وتأخذ حظها.. وقد تباروا فى منافسة ممتعة بلغت ذروتها فى مشهد رائع عن الطريقة التى قدمت بها مختلف الفضائيات العالمية والعربية أخبار غزو العراق!

الصورة قاتمة ولكن النهاية لابد أن تحمل الأمل عندما يغنى الجميع:

هييجى يوم مهما يطول الانتظار.. يتهد سور الانتظار.. ويولد الحب انفجار.. هييجى يوم.. ويولد الحب انفجار!

أحلى كوب ماء..

ليس فى مصر عبوات "مياه معدنية طبيعية "بالمفهوم المتصور. فالذى فى جميع العبوات التى تبيعها مختلف المحلات عبارة عن مياه طبيعية جوفية يتم استخراجها من باطن الأرض وتعالج بإضافات معينة من الأملاح والمعادن.. وفى مختلف أنحاء العالم فإن ينابيع المياه التى بها أملاح ومعادن طبيعية قليلة ويندر عدم معالجتها.

والمياه الجوفية هى مياه عذبة مثل مياه الأنهار والبحيرات مصدرها المطر،لكنها تسربت إلى الأرض على مدى آلاف السنين وتجمعت عبر مسام الصخور فى رحلة طويلة يتم خلالها ترشيحها وتنقيتها من مختلف الشوائب مما يجعلها نقية،وفى الوقت نفسه تذوب فيها بعض الأملاح والمعادن الموجودة فى الصخور التى تمر بها. وتظل المياه فى رحلتها إلى أن تصادف مايعرف جيولوجيًا باسم تركيب أرضى يحبسها وتبقى داخله إلى أن يأتى من يفرج عنها ويستخرجها.

وحتى سنوات الأربعينيات كانت منطقة عزبة النخل والمطرية عبارة عن فيلات لكل فيلا حديقة كبيرة أجمل كثيرًا فى ذلك الوقت من أحياء مصر الراقية الحديثة فى قطامية والميراج وغيرها فيما عدا أن الماء فى تلك الفيلات القديمة كانت كلها مياه جوفية.. وكنت شخصيًا أسعد بزيارة قريب لى فى عزبة النخل تطل فيلته على الترعة وأمامها شجرة جميز كثيرًا ماقمت بقطف بعض الثمار دون معرفة كيف نأكلها فقد كانت ثمرة الجميز تمر قبل أكلها على مرحلة يدوية

اسمها "التختين " لم أعرف كيف تتم،لكن الذى عرفته أن المتخصصين فى هذه العملية انقرضوا أو أن تكاليفها أصبحت أكثر من سعره وبالتالى اختفت أشجار الجميز واختفت كل فيلات عزبة النخل والمطرية القديمة وأصبحت حشداً من العمارات التى تدخلها مياه الشرب عبر المواسير فى الوقت الذى أصبحت المياه الجوفية أغلى من البترول!

وقد لايعرف المستهلك أن سعر عبوة هذه المياه المصنوعة من البلاستيك أضعاف سعر ما فيها من ماء، وتستورد على شكل أنبوبة صغيرة مصنعة حسب الشكل المطلوب ويتم فى مصر "نفخها" وتحويلها إلى الزجاجة مثل فكرة البالونة!

وقد تعلمت من خبرة الدكتور عبد العزيز حجازى - رئيس الوزراء الأسبق - ماجعلنى أنعم بأحلى كوب ماء أشربه. فقد قام الدكتور حجازى بينه وبين نفسه بتجارب وتحاليل أجراها فى معامل عالمية شهيرة لأنواع عديدة من المياه حتى انتهى إلى ما أكد له أن ماء الحنفية فى مصر هو الأفضل ولكن بعد معالجته بطريقة بسيطة. وقد مضت سنوات وأنا أتبع "وصفة" الدكتور حجازى التى تتضمن تخصيص غلاية كهربائية أملأها من ماء الحنفية وغلى الماء فيها وتركه حتى يبرد ثم صبه فى زجاجات على طريقة صب الشاى فى القرى كى يتشبع خلال مروره فى الهواء أثناء صبه من الغلاية إلى الزجاجة بالأكسيجين الطبيعى. وتوضع الزجاجة فى الثلاجة حتى تأخذ درجة حرارة باردة وبعد ذلك أشرب أحلى كوب ماء.

وهى وصفة أو نصيحة جربتها وجعلتنى أستمتع بطعم ماء الحنفية الذى يعالج فى محطات المياه، وقد يحوى كميات زائدة من الكلور فى المحطة أو شوائب دقيقة من المواسير أو الخزانات التى يمر بها أو يخزن فيها فوق أسطح العمارات فيتم التخلص من ذلك كله. وصباح الخير يابلد مع تمنياتى لك بأحلى كوب ماء تشربه!

الوجه الآخر لـ ٦٧ !

السؤال الذى لم يحاول أحد المراكز بحث الإجابة عليه بمناسبة شهر يونيو: ماذا لو لم تحدث نكسة ٦٧؟

وإذا كانت المنطقة قد تغيرت نتيجة هذا الحدث الذى مازلنا ندفع ثمنه، فإن محاولة التفكير بأثر رجعى لاستعادة تصور كيف كان يمكن أن نكون اليوم لو لم تقع ٦٧ يمكن أن يقودنا إلى تصور قد لايبدو مبهجًا !

وقد لايعرف شبابنا أنه نتيجة حرب ١٩٤٨ التى خاضتها" الجيوش العربية" ضد "العصابات الصهيونية" فى فلسطين بهدف طردها،فقد انتهت هذه الحرب بأن أصبحت إسرائيل حقيقة واقعة سيطرت على مساحات تفوق ماأعطاه لها قرار التقسيم! أما باقى الأراضى الفلسطينية التى لم تصل إليها يد إسرائيل فى ذلك الوقت فقد اقتسمتها مصر والأردن.. فخضع قطاع غزة للإدارة المصرية، وأصبحت مناطق القدس الشرقية والضفة الغربية جزءًا من المملكة الأردنية..

وعندما وقع عدوان ٥٦ واحتلت إسرائيل سيناء وغزة، فقد عادت غزة إلى الإدارة المصرية بعد أن انسحبت إسرائيل من سيناء فى ضوء قرار الأمم المتحدة إرسال قوات دولية تفصل بين مصر وإسرائيل على طول الحدود من شرم الشيخ الى العريش وهو الوضع الذى استمر حتى يونيو ٦٧.

فهل كان يمكن أن يتغير هذا الوضع، - على الأقل بالنسبة لسيناء بقواتها الدولية على الحدود والإجراءات التى كانت تحكمها - إذا لم تحدث ٦٧ بكل الآثار التى أحدثتها ؟!

وهل كان يمكن أن تصبح شرم الشيخ والغردقة ونويبع ودهب وطابا وغيرها بالصورة التى أصبحت عليها اليوم وهى من المناطق العسكرية التى كان يحظر على المصريين التنقل فيها بدون تصاريح طبقًا للأوضاع التى كانت قائمة فى٦٧ .

هل كان أبناء غزة مثلاً سيثورون على الإدارة المصرية، أم أن الأغلب أن غزة كانت ستستمر على وضعها القديم وسيناء منطقة مغلقة بسبب الأمن والضفة جزء متكامل مع الأردن والقضية مجرد بضع خطب فى المحافل الدولية؟

٦٧ غيرت بالقطع تاريخ المنطقة.. ولكن فى كل التخيلات يبقى الفضل الأكبر لأنور السادات !

بشرى لمرض السكر

تحت عنوان "بشرى سارة لمرضى السكر" هذه الرسالة من أ. د. روحية العيسوى أستاذ السكر والغدد الصماء بطب الإسكندرية : لقد كان اكتشاف الأنسولين نقطة تحول فى علاج مرضى السكر منذ بدايته مرورًا بمراحله المختلفة ابتداء من الأنسولين الحيوانى وحتى أحدث أنواع الأنسولين الحديثة الشبيهة بالأنسولين البشرى وهذه مضاعفاتها قليلة جدًا إذا قورنت بما قبلها.ولقد سمعنا عن زراعة البنكرياس التى انتظرها المرضى طويلاً، ولكن مع بداية استخدام الخلايا الجذعية بدأ أمل جديد مع هذا الموضوع المثير فى الطب الحديث والذى يسمى .Regenerative medicine وقد بدأت أبحاث هذا الطب عام ١٩٦٠ إلا أن ثماره لم تظهر إلا مؤخرًا حيث نشرت الجمعية الطبية الأمريكية فى مجلة JAMA عدد إبريل ٢٠٠٧ أنه ولأول مرة أصبح مريض السكر قادرًا على الاستغناء عن حقن الأنسولين واستبدالها بحقن الخلايا الجذعية التى تم تجربتها ومتابعة من استخدمت معهم مدة ثلاث سنوات متتالية، وقد استغنى معظمهم عن الأنسولين تماما بعد أن استعادت أجسامهم قدرة تصنيع هذا الإنسولين بطريقة طبيعية.وقد توالى بعد ذلك نشر الأبحاث فى هذا المجال، ومنها بحث نشرته جامعة نورث ويسترن بشيكاغو يبين أن ١٤ من ١٥ مريضًا بالسكر استغنوا عن حقن الأنسولين تمامًا. ولا يقتصر دور الخلايا الجذعية على مرضى السكر بل امتد ليشمل الجلطات الدماغية وبعض أمراض الغدد الصماء والعقم والروماتويد والذئبة الحمراء والشلل الرعاش والزهايمر وهذا على سبيل المثال وليس على

سبيل الحصر، إلا أن هذه الأمراض مازالت الأبحاث حولها فى مرحلتها الأولى على عكس مرض السكر الذى نال نصيبًا وافرًا من هذه الأبحاث.

هذه بشرى سارة فعلاً لمرضى السكر ومنهم الصديق الزميل مفيد فوزى الذى فى كل دعوة عشاء أو غداء يسحب من حقيبته الصغيرة التى لاتفارقه "عدة" حقنة الأنسولين التى يغرزها فى نفسه ولعله بعد ذلك يأكل براحته. بالإضافة إلى أن الأمراض التى نتمنى أن ينجح معها علاج حقن الخلايا الجذعية تحقق بجد سعادة الكثير من البيوت التى تخفى أسرار أحبابها ولاتستطيع معهم شىء !

فى عالم النمل.

حدثنى الدكتور مصطفى شرف خبير النمل الذى يوجد مثله فى كل العالم ١٥٠ خبيراً من بينهم ثلاثة فى المنطقة العربية وواحد فى إسرائيل. قال لى عن مملكة النمل :

١ - فى العالم أكثر من ١٢ ألف نوع من النمل يعيش كل منها فى "مستعمرات" تضم ملايين الأفراد

٢ - النملة حشرة صغيرة لكن أعمالها أكبر كثيراً من حجمها وهى موجودة منذ أكثر من ٩٢ مليون سنة منذ فترة الديناصورات

٣ - مستعمرة النمل مثل مستعمرة النحل تحكمها ملكة واحدة يحيط بها ثلاثة أنواع من النمل:الحرس،والعساكر، والشغالات وكلهن من الإناث وهى التى نراها فى عمل دائب لجمع الطعام وتخزينه

٤ - تعيش الملكة فى حجرة خاصة فى المستعمرة المحفورة فى جوف الأرض على عمق ليس سهلاً الوصول إليه ،ولذلك كثيراً مايتم تعفير البيت أو المكان والقضاء على النمل فيه، إلا أنه يعود بعد فترة نتيجة فقس البيض الذى تضعه الملكة

٥ - ذكور النمل عملها محصور فى تلقيح الملكة، فحينما تقرر الملكة التزاوج تفرد أجنحتها وتفرز رائحة تميز رائحة المستعمرة وبعد قيام الذكور بمهمتها فى تلقيح الملكة تموت الذكور

٦ – تضع الملكة مايقرب من ثلاثة إلى أربعة ملايين بيضة شهريًا ويمتد عمرها إلى نحو ٢٠ عامًا، أما الشغالة فعمرها من ثلاث إلى سبع سنوات

٧ – أخطر أنواع النمل الذى فى البيوت ويسمونه "النمل الفارى" وله مثل النحلة إبرة يلدغ بها وهناك نوع آخر "يعض" بفكيه !

٨ – النمل الأبيض نوع يتغذى على المواد السيلوزية ويكثر فى الصعيد ويتغذى على جذوع النخيل ويتميز بنهمه للأكل. ولا يمت النمل الأبيض إلى فصيلة النمل العادى بل ينتمى من حيث التطور إلى الصراصير ولكنه يشبه النمل فى حياته الاجتماعية التى تحكمها الملكة

٩ – تحارب مستعمرات النمل بعضها والفائز يأسر الأفراد المهزومين ويسخرهم لخدمته !!

هذه أضواء على مملكة النمل التى يحكمها نظام أساسى : ملكة واحدة هى التى يتزوجها كل ذكور المملكة ويموتون فور عملية الزواج ليأتى غيرهم بعد أن تضع الملكة التى تنجب وحدها عن طريق ملايين البيض الذى تضعه ملايين الذكور والإناث وهى التى تتولى وحدها رعاية هذا البيض حتى ينجب ملايين الإناث والذكور وهؤلاء سينمون فى خلال شهر ويقومون بتلقيح الملكة ثم يموتون وهكذا..

ولكن ماذا إذا ماتت الملكة نفسها ؟

تقول الإجابة أنه فى هذه الحالة يقوم النمل باختيار إحدى الشغالات، وفى هذه الحالة تذهب هذه الشغالة إلى غرفة خاصة تبقى بها ثلاثة أيام وبعدها تخرج معلنة نفسها أنثى وتصبح ملكة النحل.. نظام سبحان من أرساه ونظمه.

تعددت السموم والموت واحد

أغلقت محكمة الاستئناف فى واشنطن الباب أمام شركات التبغ التى تنتج نوعًا من السجائر ظلت توهم المدخنين أن بها نسبة أقل من الزفت أو القار الموجود فى السجائر التقليدية. وجاء حكم المحكمة حاسمًا ضد أشهر أنواع «السجائر الخفيفة» المعروفة باسم «لايت» و «لوتار»، واتهمت الشركات المنتجة لها بأنها خدعت عمدًا المدخنين وكذبت عليهم بادعاء أن هذه الأنواع من السجائر أقل ضررًا، فى حين أن الشركات كانت تعرف كما جاء فى حيثيات الحكم أن سموم هذه السجائر الخفيفة تتساوى مع سموم السجائر الثقيلة!

وكلها بالفعل سموم قاتلة، وقد شاهدت مدخنين كثيرين يفاخرون بأنهم يدخنون هذه الأنواع الخفيفة «الأقل ضررًا»، ولكننى تأكدت من مناقشتهم أنهم يدخنون من هذه الخفيفة ضعف ما كانوا يدخنونه من السجائر الأخرى، وهذه هى الخدعة الكبرى التى ضحكت بها شركات إنتاج السجائر على المدخنين.. صحيح أن السيجارة بها نسبة تبغ أقل من العادية وبالتالى كمية النيكوتين فى السيجارة إلا أنه نتيجة ذلك انخفضت كمية النيكوتين التى يحصل عليها المدخن من هذه السيجارة.. ولما كان جسمه قد تعود على كميات معينة من النيكوتين يمكن أن يزيدها ولكن لا يقلل منها، فإنه لكى يحصل على كمية النيكوتين التى اعتادها يجد نفسه يشعل عددًا مضاعفًا من هذه السجائر الخفيفة مما يعد مكسبًا للشركات المنتجة

هذا الحكم الجديد للمحاكم الأميركية يعد واحداً من سلسلة أحكام بدأتها شركات التدخين حاولت فيها فى البداية تبرئة صناعتها من الأخطار العديدة التى تصيب المدخن، كما حاولت منع صور المرضى المدخنين التى أصبحت شركات السجائر ملزمة بوضعها على كل علبة مع تحذير المدخنين، ولكنها لم تنجح، ففى كل مرة يأتى الحكم مؤيداً لاعتبار التدخين بمختلف أنواعه اسوأ اختراع توصل إليه الإنسان!

وتحاول شركات التدخين اليوم التوجه إلى سوق جديدة متصلة بالتدخين، ولكن من الباب الخلفى، وهو باب النيكوتين.. ففى كل (Drug Store) فى أوروبا او أميركا يوجد ركن من أكبر الأركان يحتوى أشكالاً متنوعة للنيكوتين فى شكل لبان ولاصقات ورشاش.. وتتنافس الشركات فى انتاج هذه الصورة المتعددة من النيكوتين الذى يعتبر المغناطيس الذى يربط بين المدخن والسيجارة أو الشيشة..! هذه المرة يستبعدون التبغ على أساس أنه يحوى المواد الكيمائية العديدة التى تسبب أمراضاً، منها السرطان، ويركزون على النيكوتين ضامنين أن زبونه سيكون أسير إنتاجهم، وإذا كان الوصول إلى النيكوتين صعباً بسبب حظر التدخين فإن الصور الجديدة للنيكوتين تسمح «للمتعاطى»، وهذا هو اسمه فى هذه الحالة، بتعاطى النيكوتين فى كل مكان: فى الطائرة والسينما والمطعم.. وفى جميع الصور كلها سموم....! ولأن الملاحظ أن الذى يتعامل مع النيكوتين من الفئات الأكثر ثقافة وقدرات مالية فإن هذه الفئات أصبحت تنفق على النيكوتين أضعاف ماكانت تنفقه على السجائر وإن كانت لم تبرأ من آثار النيكوتين على الضغط والقلب، فالأشكال قد تتعدد ولكن السم واحد!

قهوة على الحيطة!

تحتاج الشعوب ليتحقق التكافل إلى قدر من الثقافة ومن التعفف يحقق وصول الزكاة أو الصدقة أو المعونة ـ سمها ماتريد ـ إلى من يستحق، فى كرامة وإنسانية. ضع على سبيل المثال يدك فى جيبك وضع ماأخرجته فى يد شخص التقيته وأردت أن تساعده، وستفاجأ بعد ثوان بمظاهرة من السائلين يحيطون بك وهم يشدونك ويفعصونك ويجعلونك تندم لأنك أحسنت إلى شخص لاتعرفه وقد يكون ما أعطيته هو آخر مامعك أو ماتستطيع عليه !

أذكر أننى ما جلست إلى أحد الذين فازوا مرة بجائزة للدولة لها مكافأة مالية إلا وحدثنى عن كوم الرسائل التى تلقاها والتى تحمل سطورها مآسى الكون التى يطالب أصحابها من صاحب الجائزة حلها بأكثر من قيمة الجائزة الأمر الذى يشعره بالذنب لأنه حصل على الجائزة !

وقال لى كاتب صديق أنه أرسل مرة مساعدة مالية إلى شخص فى إحدى القرى لايعرفه لكنه كتب إليه فصدّقه وانتزع مبلغ المساعدة من ميزانيته،ولكن ما هى إلا أيام قليلة حتى فوجىء صاحبى بعشرات الرسائل تنهال عليه من نفس القرية وقد كتبت كلها بنفس خط الرسالة الأولى مع اختلاف الأسماء!

من أجمل ماقرأت ماكتبه الدكتور أحمد الصراف فى صحيفة القبس الكويتية عن مقهى يقع فى مدينة فينيسيا الإيطالية أتاح لمن يريد من زبائنه أن يطلب لنفسه فنجان قهوة وأن يطلب أيضًا إذا أراد فنجانًا آخر "للحائط"ويدفع ثمن

الفنجانين! وهنا يقوم الجرسون بتقديم فنجان له وتسجيل الفنجان الآخر المدفوع بعلامة واضحة يضعها على أحد حوائط المقهى الخارجية. وعندما يمر من نفسه فى فنجان قهوة لكنه لا يمتلك ثمنه فإنه ينظر إلى الحائط. فإذا وجد علامة فنجان مدفوع جلس وطلب «فنجان قهوة على الحيطه» يشربه ويغادر من دون دفع شيء، ليقوم الجرسون بعدها بإزالة العلامة من على الحائط. ويتم كل ذلك بهدوء ومن دون أن يعرف الزبون الكريم الذى دفع أو الفقير الذى شرب بعضهما البعض وبطريقة تتسم بقدر كبير من الكرم والحضارة! شفتم الحلاوة؟!

مأساة أشهر مثال

كان من يشاهده ولا يعرفه يهم بوضع يده فى جيبه والتصدق عليه بمساعدة مالية.. فلم يكن الجلباب المهلهل الذى يرتديه، ولا البيت الخانق الذى يسكن فيه يشير إلى أن هذا العجوز الذى بلغ التسعين هو واحد من أشهر المثّالين وأحد معالم فن النحت.

ولد عبد البديع عبد الحى جمعه فى يونيو ١٩١٦ فى المنيا واشتهر لكنه انزوى فى سنواته الأخيرة وعاش وحيداً يعانى المرض وقلة الأصدقاء الذين يسألون عنه.. إما بالهاتف أو بالزيارة.. وفى وسط تماثيله العديدة التى تنطق بعبقريته وحساسيته المرهفة أمضى عبد البديع حياته بعيداً عن الناس.. لكنه يوم ٦يوليو عام ٢٠٠٧ استقبل زائرين جديدين كان اعتقادهما أن هذا الرجل المشهور بفنه والذى يرتدى الملابس المهلهلة لابد أنه جمع طوال حياته مالاً كثيراً يخفيه وسط أحجار تماثيله.. ومن دون أى شفقة أو رحمة انهال عليه الاثنان طعناً حتى بلغت عدد الطعنات التى تلقاها ١٤ طعنة.. وعندما تأكدا من مقتله راحا يبحثان عن الثروة التى يخفيها فلم يجدا أى مال أو ذهب أو مجوهرات.. وكان كل ما حصلا عليه خمسين جنيهاً لا غير..! وهكذا انتهت حياة هذا الفنان الذى عاش حياة طويلة من المعاناة، لكن يبدو أن هذه المعاناة كانت ضرورية كى ينتج الأعمال العظيمة التى قدمها.. وعبد البديع عبد الحى من مواليد مدينة ملوى جنوب محافظة المنيا التى تبعد عن القاهرة نحو ٤٠٠ كيلو متر.. وبسبب فقر أسرته لم يتجاوز تعليمه مرحلة الكتاب، وفى سن السابعة ألحقته أمه بعمل فى مطبخ أحد الأغنياء لمساعدتها مادياً.. وظل عبد البديع يمارس عمله فى المطبخ لمدة عشر

سنوات، وعندما استدعى للتجنيد كانت فرحته كبيرة فقد كان كل أمله أن يدخل الجيش ويصبح عسكريًا.. وسافر عبد البديع من ملوى إلى القاهرة، لكن المفاجأة كانت عندما تم رفضه فى التجنيد بسبب إصابته بالحول.. وكانت صدمة كبيرة للشاب الذى وضع كل آماله فى التجنيد، وخرج من إدارة القرعة العسكرية نادمًا لاعنًا ثائرًا عندما اصطدمت قدمه بقرن جاموسة التقطه من الأرض وراح ينحت فيه بمطواة كان يحملها مشكلاً تمثالاً قريبًا من شكله يحمل سكينًا يريد أن يطعن به الطبيب الذى رفض قبوله فى الجيش!

وهكذا فى اللحظة نفسها وبعفوية بالغة بدأت قصة عبد البديع الذى كان يعتبر أميًا مع النحت، فقد راح يصنع لنفسه تماثيل تصوره جنديًا فى مختلف الأسلحة وكانت هذه بداية طريقه مع التماثيل.. وفى سنة ١٩٤٢ وكان فى السادسة والعشرين، عرف من أحد أبناء بلدته عن وجود متحف حربى فى مصر فأخذ تماثيل العساكر التى صنعها وذهب يحاول أن تتوسط له لينضم إلى الجيش.. وبالفعل نجح فى الانضمام إلى المتحف كمثال لا كجندى.. وفى إحدى المرات عرف عن مسابقة للنحت تقام باسم المثال الأشهر محمود مختار فانتزع عتبة أحد البيوت وكانت من الحجر وحولها إلى فتاة صغيرة تمشط شعرها أطلق عليها «ست الحسن».. واكتشف كل من شاهد إنتاج عبد البديع أنه أمام فنان كبير.. وعرفت عنه هدى.شعراوى فاحتضنته وكانت تشجع المواهب.. وحاولت إرساله إلى إيطاليا لدراسة فن النحت ولكنه رفض مغادرة مصر.. ولم يكتب له السفر إلا بعد أن اشتهر وأصبح من كبار المثالين، ولكن عمله فى وسط الأحجار أثر فى أسنانه التى فقدها وعلى عينيه فسافر إلى ألمانيا لإجراء عملية جراحية على نفقة الدولة لم يكتب لها النجاح.. وعاد إلى مصر مع العزلة والوحدة والمرض بانتظار النهاية الطبيعية لكل البشر، لكنه بدلاً من أن يلقى هذه النهاية فى سريره جاءته على يد لصين كانا يحلمان بثروته الضخمة التى يخفيها.. ومات عبد البديع عبد الحى مقتولاً، أما اللصان فكان نصيبهما ٥٠ جنيهًا وحكمًا بإعدامهما!

أطفال الأنابيب

فى صورة طافت العالم، ظهرت لويز براون وهى تحتضن توأميها، وقد بدا الجميع فى صحة جيدة.

ولويز براون هى أول «طفل أنابيب» فى التاريخ، وفى يوم ٢٥ يوليو ٢٠٠٩ كان عيد ميلادها الثلاثون وقد ظهرت مع التوأم الذى أنجبته هى الأخرى بنفس أسلوب أطفال الأنابيب، وهو الأسلوب الذى فتح الطريق واسعًا لتحقيق أبوة وأمومة أكثر من مليونى طفل ولدوا بهذه الطريقة حتى اليوم.

ولويز براون من أصل إنكليزى وقد وضعتها أمها فى مستشفى اولدهام فى لانكشاير غرب بريطانيا.. وبعد ذلك امتدت الفكرة التى بدأت فى إنكلترا إلى مختلف دول العالم، وأصبحت تستخدم فى بعض حالات العقم. ولكن أهم مزايا هذه الوسيلة أنها لا تتنافى مع الدين أو الشريعة لأن البويضة من الزوجة والحيوان المنوى من الزوج، وإن كان الغالب فى هذه الحالات ضعف حيوان الزوج وعدم مقدرته على تلقيح بويضة الزوجة بالطريقة العادية.

إن الأنثى تولد وفى مبيضها حوالى مليون بويضة وعند سن البلوغ تخرج البويضة من سطح المبيض وتكمن فى الانتظار عند الثلث الأول لقناة توصل إلى الرحم تسمى قناة فالوب.. وعندما تتم العملية الجنسية ينطلق من الرجل مئات الملايين من الحيوانات المنوية تتسابق فى الوصول إلى البويضة إلى أن يتمكن واحد من هذه الملايين من اختراق البويضة،وعند ذلك ترسل هذه البويضة إشارات تمنع دخول حيوان آخر لتبدأ بعد ذلك رحلة الجنين التى تستمر أربعة

أيام يصل بعدها إلى تجويف الرحم ويحاول الالتصاق به، ويبدأ عندها تكوين الطفل.

ولكن يحدث ألا يتمكن أى حيوان من ملايين حيوانات الرجل من اختراق البويضة بسبب ضعفه، مما يحرم أزواجًا كثيرين من الإنجاب إلى أن جاءت طريقة الأنابيب. وفى هذه الطريقة يتم الحصول على بويضة الزوجة وعلى الحيوان الضعيف للزوج وتنشيط هذا الحيوان بطريقة فنية تجعله قادرًا على ممارسة مهمته فى اختراق البويضة وتلقيحها.. وبعد ٤٨ ساعة من هذه العملية التى تتم داخل أنبوبة، وهو الأمر الذى أعطى الطريقة اسم "طفل الأنابيب"، تعاد البويضة الملقحة إلى رحم المرأة لتستكمل باقى رحلة اكتمالها إلى أن يتكون الجنين.

ولم يحدث هذا إلا بسبب البحوث العلمية التى أسعدت الكثيرين بأطفال شرعيين يحملون المواصفات الوراثية من الزوجين وها هى ثلاثين سنة تمر وتتأكد صحة، وسلامة أطفال الأنابيب. وأهم من ذلك تمكن ملايين الأزواج من استكمال سعادتهم بإنجاب أطفال شرعيين.

أعظم من حارب إسرائيل

لم يمسك فى حياته بندقية أو قنبلة أو ارتدى حزامًا ناسفًا وقام بعملية فدائية ومع ذلك لم يحارب أحد فى حياته إسرائيل كما حاربها الدكتور عبد الوهاب المسيرى عن طريق موسوعاته التى سهر الليالى فى كتابتها عن اليهودية والصهيونية واليهود، والتى كانت أهم نافذة علمية أطل منها ملايين العرب من دارسين وباحثين على حقائق الأوضاع فى المجتمع اليهودى كما "يجب" معرفتها لا كما " نحب أن تكون"، مع الفارق الكبير بين الاثنين.. بين العلم والجهل، وبين النور والظلام.

وقد كانت محاولة المعرفة عن إسرائيل حتى قبل عام ٦٧ من الممنوعات المحرمة، فلم يكن مسموحًا باستيراد كتاب عن إسرائيل لا على مستوى الفرد أو الجامعة أومراكز البحث، ولم يكن هناك انترنت ندخله ونقرأ ما لايصل إلى أيدينا، وكانت السينما تصور لنا اليهودى فى شكل رجل رث الثياب بالغ الجبن لايزور الحمام إلا قليلاً، ويتحدث دائمًا بصوت أخنف،وربما أثرت هذه الصورة على الجندى العربى الذى ذهب لمحاربة الإسرائيليين وفى ذهنه تلك الصورة التى جعلته يتصور اليهودى جبانًا وضعيفًا ثم اكتشفنا بعد أن عرفنا اليهود ورأيناهم من داخل وخارج إسرائيل أنه ليس فيهم ما حاولنا أن نقنع أنفسنا به، وكان عكسه هو الأقرب إلى الحقيقة التى تجاهلناها..

ولابد أن عبد الوهاب المسيرى كان أحد الذين صدمتهم الهزيمة وقرر أن يبدد غشاوة العربى ويقدم له الحقيقة مهما كانت مرارتها ويقتحم ميدانًا غير مسبوق

باللغة العربية قدم من خلاله " موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية " عام (إصدار الأهرام) و "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية " عام ١٩٩٩ (إصدار دار الشروق فى ٨ مجلدات).

ولا أذكر عدد المرات التى قرأت فيها موسوعته الأولى التى اقتنيت منها نسختين لتكون معى دائمًا فى المكتب والبيت وقد كانت الضوء الذى فتح لى طريق أن أعرف بلغة سهلة حياة اليهود ومعتقداتهم وأساطيرهم وأحزابهم ومشاكلهم وأبطالهم، مما جعلنى بعد ذلك أقرأ عديد الكتب التى سهل على فهمها بفضل القاعدة المعرفية التى أرساها عبد الوهاب المسيرى

ورغم مرض المسيرى الذى كان يعرف نهايته إلا أنه ظل محاربًا بسلاحه حتى آخر لحظة مخلفًا لنا ولكل الأجيال أضخم ذخيرة من المعلومات التى تعرف من يريد كيف الانتصار على إسرائيل بالعلم لا بالفهلوة ليرحمه الله فقد انطبق عليه تركه علم مفيد ينتفع به الناس .

التدخين أيام الرسول

المفكر الإسلامى الأستاذ جمال البنا له آراء واجتهادات قد تتفق أو تختلف معها لكنها تستند إلى اجتهاد يحاوله من قراءته الفقهية المتعمقة. والقضية ليست مناقشة مبدأ "الإجاهاد" فى حد ذاته فهذا أمر يجب التشجيع عليه وإن كان لا يعنى أن كل ماقد يتوصل إليه صواب أو خطأ.

وقد عاد الأستاذ جمال وكرر أخيرًا فى برنامج تليفزيونى رأيه الذى يقول فيه: إن التدخين فى رمضان لمن أراد لايفطر، وأن الصائم الذى لايستطيع تحمل الصوم بسبب التدخين يمكنه تدخين سيجارة واثنين وثلاثة وإكمال صومه دون خوف من بطلان صومه. وحجة الدكتور جمال البنا فى رأيه أن التدخين ليس طعامًا أو شرابًا يدخل الجوف ويكون سببًا لبطلان الصوم وأن استخدام كلمة "يشرب" السيجارة بدلاً من تدخينها هو الذى أثار الخلاف بالإضافة إلى أن التدخين لم يكن موجودًا أيام الرسول عليه الصلاة والسلام وبالتالى لم يصدر بشأنه حكم قاطع، وأصبح الحكم على التدخين قضية اجتهادية.

هذا هو رأى الدكتور البنا ولكن علينا ونحن نجتهد معرفة أن الذى كان معروفًا أيام الرسول أن الطعام أو الشراب هو مايدخل المعدة، ولكن الذى أوضحه العلم أن الجوع والعطش وغيرهما من الشهوات أساسها إشارات تصدر من جزء خاص فى المخ تدعو صاحبها إلى الأكل أو الشرب وتدعوه أيضا عند الإحساس بالإمتلاء إلى التوقف، وبالتالى فإن الصوم لايعنى فى الواقع مقاومة ما يدخل المعدة وإنما مقاومة إشارات شهوة الأكل أو الشراب التى تصدر عن المخ. ومثل هذه الإشارات

تحدث فى التدخين بصورة أقوى لأن كل سيجارة يشعلها المدخن يلبى بها شهوة تلح عليه من خلال إشارات المخ.. فالصيام أساسًا الامتناع عن الشهوات، والتدخين بلا شك شهوة ولو كان الأمر مقصورًا على مايدخل المعدة لكانت شهوة الجنس مباحة فى نهار الصيام.

مع ذلك يبقى السؤال : هل لو كان التدخين معروفًا أيام الرسول ومعروفًا عنه آثاره على القلب والرئتين والضغط والسكر وأمراض السرطان والعقم وغير ذلك من عديد الآثار. .فهل كان من المتصور إباحته أصلاً فى كل الأيام حتى يقال أنه لايفسد صوم رمضان ؟!

رد من جمال البنا

الأستاذ صلاح منتصر.. قرأت تعليقكم بالنسبة لموضوع الصيام والتدخين، وأود تقديم إضافة تمثل العنصر الرئيسى فى الموضوع وبدونها لا تتضح الحقيقة. لقد قلت إن القاعدة فى العبادات "التوقيف" أى لانزيد فيها ولا ننقص منها ولكن نلتزم بها. كما ذكرت وقلت إن التحريم والتحليل الشرعيين هما ماجاء فى القرآن الكريم أو صدق وروده عن الرسول. وبالطبع فإن شيئًا عن السجائر لم يذكر لا فى القرآن ولا عن الرسول لأنها لم تكن موجودة فيكون الموقف هو الالتزام بما حدده الشارع فيما يفطر وهو الطعام والشراب والمخالطة الجنسية. وبالطبع فإن المستجدات لاتترك فيمكن للمجتهدين الاجتماع وتقريرأن السجاير تفسد الصيام،وهذا التقرير لايكون ملزمًا بالضرورة للجميع وإلا لكان شأنه شأن القرآن.ثم أين هم المجتهدون ومتى اجتمعوا أو قرروا؟

كما أنى قلت إن هذا الرأى لمن أدمن التدخين بحيث لايستطيع له صبرًا وبالتالى فإنه إما أن يرفض الصيام لأنه لايطيقه أو يدعى الصيام ويدخن سرًا وهذا هو النفاق الأسوأ من الإفطار،وإما أن يضغط على نفسه فيصوم دون أن يؤدى عملاً منتجًا لغلبة الإكتئاب عليه ويمكن أن يعمد إلى النوم أو إلى مشاهدة التليفزيون.

وقد قلت وأكدت أنى أفضل لكل مدخن أن يصوم إذا استطاع ذلك على أننى لست الوحيد فى هذاالرأى فقد اكتشفت أن الإمام بن عابدين من أئمة الحنفية يرى هذا الرأى،ورآه كذلك آية الله محمد حسين فضل الله وهو من أفضل فقهاء

الشيعة فى لبنان، وقال أنه يكره السجائر كراهة التحريم ولكن لو أن صائمًا دخن وارتكب هذا الإثم فإنه لايفطر ولكن يحاسب على إثمه. ولو اتسع المجال لشرحت لك أهمية أن ندقق فى التحريم والتشريع الشرعيين حتى لاتوجد حكومة فقهاء أو ولاية فقهيه. ويمكن للدولة أن تصدر قانونًا بمنع التدخين ولكن لن يكون له قيمة فالتدخين قضية لها أبعاد سيكولوجية وصحية واجتماعية عديدة، وهناك أمور ضارة كثيرة لم يتدخل فيها الشارع (القرآن) لأنه يعلم أنها لاتعالج بالنص على التحريم ولكن بمعالجة أسبابها.

ولا ينسينى ذلك شكرك لتمكينى من شرح وجهة نظرى حتى يعلمها القراء لاأن يسمعوها مشوهة.

رد على الأستاذ البنا

بداية أسجل شكرى للأستاذ الفاضل جمال البنا على رسالته التى نشرتها أمس كاملة والتى أوضح فيها حجج رأيه الخاص بالسماح لمدمن التدخين أن يدخن فى رمضان دون أن يعد مفطرًا. ولا شك أن شيئًا لم يرد عن التدخين فى القرآن أو الحديث الشريف مما يجعل الأمر متروكًا للمجتهدين. وعندما بحث الفقهاء الموضوع كان الشائع فى رأى أغلب إن لم يكن إجماع الفقهاء أن التدخين يفسد الصيام ويعتبر من يدخن وهو صائم مفطرًا. ولكن هاهو الأستاذ البنا يأتى برأيه الجديد فماذا يفعل المؤمن؟

الرسول أجاب على مثل هذه الحيرة التى تصيب المؤمن تجاه أى موضوع بقوله عليه أفضل الصلاة : استفت قلبك وإن أفتاك الناس وافتوك (حديث صحيح). ولكى يستفتى الإنسان قلبه فى التدخين فى رمضان عليه أن يعود إلى حكمة الصيام كما وردت فى القرآن الكريم وهى كما قال تعالى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة ١٨٣) وهاتين الكلمتين "لعلكم تتقون " يشعر المؤمن أمامهما فى قريرته أن الله يأمره بالصيام لعله يتحمل مشاقه والتدرب على مقاومة الشهوات ومغالبة المغريات خشية من الله.وبالتالى يكون سؤال العبد لنفسه وهو يستفتيها: هل التدخين يدخل فى قائمة الشهوات التى يشتهيها المدخن مثل اشتهاء الأكل والشراب أم لا ؟ ألا يشعر المدخن أنه إذا أشعل سيجارة تردد فى داخله نداء: اتق الله؟ فكيف يتصور أن التدخين لايفسد صومه ؟

والتدخين فى تعامله أو تعامل المخ والجسم معه لايختلف عن الأكل والشرب فجميعها تكون حاجة الإنسان إليها أوتوقفه عنها،من إشارات مصدرها واحد هو المخ. كما أن جميعها تدخل جسم الإنسان. وبالنسبة للتدخين فإن مادة النيكوتين هى التى تدخل الجسم إلى المخ وإلا على أى أساس يشعر المدخن بنشوة السيجارة إذا لم يكن من بين مكوناتها مايدخل الجسم ويشبع جوعه للمادة التى افتقدها جسم المدخن ؟ ثم لماذا المدخن وحده الذى نعفيه من مشقة الصوم وهناك من يدمن القهوة أوالشاى ويفتح عينيه عليهما ؟ مرة أخرى استفت قلبك وإن أفتاك الناس،مع خالص شكرى للأستاذ البنا الذى أعطانى فرصة توضيح أكثر.

تسجيلات المحمول

هذا موضوع جد فى حياتنا مع ظهور تليفون المحمول وانتشار استخدامه حتى كاد أن يصبح هناك رقم تليفون لكل مواطن مثل الرقم القومى. قال لى صديق إنه فى يوم كان يتحدث مع أحد الأشخاص فطلب إليه أن يخرجا معًا خارج الغرفة التى كانا فيها بعد أن يتركا تليفوناتهما المحمولة حتى يمكنهما التحدث بحرية. وسأل صديقى وفهم أنه عن طريق التليفون المحمول - حتى وهو مغلق - يمكن الدخول على هذا الجهاز واستخدامه سماعة يتصنت فيها على كل مايجرى حول التليفون من مناقشات. ذكرنى هذا بحادث جرى لأحد الأشخاص الذى اتصل بزوجته يعتذر لها لمشغوليته فى العمل وبعد ذلك نسى صاحبنا أن يغلق تليفونه وتركه مفتوحًا لينقل إلى الزوجة كل الهمسات التى كانت تجرى بين الزوج الذى ادعى مشغوليته فى العمل وبين عشيقته ! وانتهت القصة بالطلاق !ولكن بين الحكايتين هناك فرق ففى الثانية كان الخط مفتوحًا أما فى الحكاية الأولى فإن التكنولوجيا يبدو أنها استطاعت سرقة الأحاديث التى تجرى والخط مغلق !

والمؤكد أنه عن طريق جهاز التليفون المحمول يمكن الاستدلال على مكان وجود الجهاز لأن كل جهاز فى العالم له رقم محفور لايتكرر يصبح مثل بصمة الأصابع لصاحبها،وعند اللزوم يمكن تعقب إشارات هذا التليفون ومعرفة مكانه.

وفى حادث مقتل الفنانة سوزان تميم فى شقتها فى دبى ظهرت تسجيلات لمكالمات تليفونية جرت من خلال جهاز كان يحمله المتهم الأول فى القضية اتضح أنه يتصف بتسجيل المكالمات. ومع ذلك فقد سمعت أكثر من واحد يفتى بأن كل

مكالمة على التليفون تسجل تلقائيًا، بعضهم قال على شريحة التليفون وآخرون قالوا فى أجهزة شركة التليفونات التابعة لها الخدمة.. بل إن أحدهم ممن يدعون المعرفة والحديث بطريقة الواثق حاول إقناعى أن كل مكالماتنا التليفونية مختزنة فى الفضاء، وأن التقدم التقنى لدى الدول المتقدمة تستطيع استعادة هذه المكالمات من الفضاء ومعرفة مادار بين المتصلين.. وكلام كثير آخر فما دام لاحدود للكلام فالكل يمكن أن يفتى !

أما الحقيقة فى هذا الموضوع وقد سألت عنها أحد الخبراء المتخصصين الذين يعرفون عن علم وعن مسؤلية، لكننى أعفيه من عدم ذكر اسمه فهى :

١ - ليس هناك أجهزة محمول تسجل المكالمات التى يجريها الجهاز على شريحة التليفون ولا فى مقر الشركة التى تقوم بالخدمة، وإن كان من الممكن تسجيل مكالمات تجريها أرقام تليفونات معينة إذا صدر قرار من جهة قضائية بتسجيل مكالماتها، أما أن يقول لك أى شخص أن هناك تسجيلات تلقائية لكل مكالمة فهذا وهم وخيال

٢ - المسجل أوتوماتيكيًا لدى شركات الخدمة، أرقام التليفونات التى يتصل بها أى جهاز و تاريخ وساعة ومدة كل مكالمة، ويستطيع صاحب أى تليفون معرفتها لو أراد وبعض المشتركين تصلهم تلك البيانات.

٣ - بعض أجهزة المحمول فيها وظيفة التسجيل، ولكن يتعين على صاحب الجهاز تشغيلها فهى لاتسجل أوتوماتيكيًا.

٤ - جرى خلاف حول التسجيلات التى يجريها الأفراد من تلقاء أنفسهم ففى بعض القضايا تم رفضها وفى قضايا أخرى أخذت بها المحكمة، ويبدو أن ذلك أصبح متوقفًا على نوع التسجيلات والغرض الذى تخدمه فى كل قضية

وهذه الحقائق التى صرح لى بها مسئول هى فى ضوء التكنولوجيا القائمة حاليًا، أما بالنسبة للمستقبل فلا أحد يعرف ماذا يمكن أن يأتى به التطور التكنولوجى، وبالتالى من الممكن أن يكون هذا المحمول الذى له فوائده الكثيرة أن يكون يومًا من أسباب شقاء الإنسان !

النوم فى الطائرة

أول مرة ركبت فيها الطائرة كان منذ ٥٠ سنة، وقد جاء أبى وأخى ـ رحمهما الله ـ لتوديعى فى المطار، باعتبار أننى فى طريقى الى غزو الفضاء. ورغم أننى كنت فى سن صغيرة، فإننى كنت أعتقد أننى تأخرت جدًا فى ذلك الوقت فى السفر، فلقد كانت رحلات كبار الكتاب والصحافيين التى يكتبون عنها تجذب اهتمامى وتثير شهيتى إلى زيارة العالم، وفى هذه الرحلة الجوية التى لا تنسى فى عام ١٩٥٩جلست بجوار النافذة وانشغلت بالتطلع الى السحب، وظلت عيناى مفتوحتين وحواسى كلها متنبهة خوفًا من أن يفوتنى أى مشهد غريب أو غير عادى. وتوالت بعد ذلك الرحلات والسفريات التى نسيت الكثير منها، لكنى لم أنس أول رحلة وهذه هى العادة دومًا، عادة تذكر المرة الأولى فى أى شىء ونسيان المرات الأخرى.

وفى آخر إحصاء لى، وجدت لدى أربعة عشر جواز سفر مملوءة بأختام الدخول والخروج وفيزات الدول الكثيرة المتعددة التى زرتها، ولم تكن البلاد وحدها هى الكثيرة ـ ولله الحمد ـ وإنما كانت أيضًا أنواع الطائرات التى ركبتها فقد ركبت تقريبًا كل أنواع الطائرات (المدنية طبعًا)، ابتداء من الطائرة النفاثة الضخمة إلى الطائرات الصغيرة التى تستخدم المراوح، كما ركبت أيضًا طائرة الكونكورد الأسرع من الصوت قبل أن تودع العمل، وكذلك طائرات الهليكوبتر وكدت أسقط من إحداها يوم وقفة عرفات، عندما طلبت من وزارة الإعلام السعودية أن أطوف بطائرة حول الحجيج فى ذلك اليوم، وكانت الطائرة من دون أبواب وإنما مجرد مكان أقف فيه وأقبض بيدى على عمود أتشبث به، وكان

المنظر مروعًا، منظر الحجاج الذين غطوا أرض عرفات، وأيضًا منظرى فى الطائرة وأنا أقاوم التدحرج عندما تميل الطائرة وما أكثر ما كانت تميل..!

وفى سنوات شبابى، كنت أفرح عندما تطول مسافة الرحلة لأن ذلك يعنى أننى سوف أمضى وقتًا طويلاً فى الجو، لكن الذى كان يعذبنى فى الأسفار الطويلة عدم قدرتى على النوم فى الطائرة، فالكل حولى نيام، وأنا وحدى المفتوحة عيناه على الآخر. واحتاج الأمر منى إلى سنوات طويلة قبل أن أكتشف سر عدم قدرتى على النوم فى الطائرة، فمن طبيعتى ألا أستطيع النوم بعد الأكل، ولهذا كان النوم يهرب من عيونى بعد تناول الطعام فى الطائرة.

وأصبحت أخطط للسفريات الطويلة إلى الشرق الأقصى أو إلى أمريكا، فقد أصبحت أتناول طعامًا خفيفًا قبل صعودى إلى الطائرة ولا أتناول عشاء الطائرة، وفور دخولى الطائرة ابتلع قرصًا مهدئًا وأذهب بعد ذلك فى النوم. فإذا كنت قد بدأت أسفارى الجوية بالجلوس إلى جوار نافذة الطائرة والتطلع من النافذة واستدعاء حواسى للتنبه طوال مدة الرحلة، فقد أصبحت أفضل الجلوس على المقعد المجاور للممر بعيدًا عن النوافذ التى لم أعد أتطلع منها إلا نادرًا عندما أصل إلى مدينة أزورها للمرة الأولى، وأصبح النوم فى الطائرة هو الأجمل، ولكن بشرط أن تعرف مفاتيحه، خصوصًا فى الرحلات الطويلة التى تجد فيها الكل نيامًا وأنت وحدك الذى يهرب النوم من عينيه

الهبوط إلى الأرض

عرف قائد الطائرة المصرية بوجودى بين الركاب، فأراد الاحتفاء بى وبعث إلىَّ مضيفة الطائرة تدعونى، قبل ربع ساعة من الهبوط فى مطار فيينا عاصمة النمسا، لدخول كابينة القيادة.

سألنى القائد المصرى: هل سبق لك أن شاهدت عملية هبوط الطائرة فى المطار؟ قلت: كثيرًا ما دعانى «كباتن» الطائرات للحديث معهم فى «قمرة» القيادة، لكننى كنت أغادرها قبل الهبوط.

تناول الحديث موضوعات شتى وبدت السحب أمامى داكنة، كما لو كانت محملة بكتل من الظلام رغم أننا كنا فى منتصف النهار. لاحظت انصراف القائد عنى وانشغاله مع مساعده فى عبارات فنية، بينما كانت الطائرة تميل بمقدمتها ناحية الهبوط. دخلت الطائرة سحب الظلام الكثيف، وبدا كما لو أنه ليس هناك زجاج للطائرة، وهى تواصل هبوطها بسرعة والعبارات الفنية بين القائد ومساعده يتبادلانها بطريقة جادة.. شعرت بالخوف فالطائرة تهبط بسرعة وليس هناك مطار أو ممر أو طريق أو زرع أو أرض تكشف لنا طريقنا، وساد الصمت الرهيب عندما أنزل القائد عجلات الطائرة، أصبحنا على شفا ملامسة الأرض ولكن دون أن أرى أرضًا وازداد رعبى، وتمنيت لو أن قائد الطائرة لم يحتف بى هذا الاحتفاء الخاص. فباقى الركاب فى الخلف لا يرون الذى نراه، وهم يتسامرون ويضحكون غير عابئين. كثير من النتائج يصعب علينا أن نراها وهى تتكون وتتشكل، حتى بعض المنتجات، من الأفضل ألا تراها فى مراحل التصنيع خاصة بعض المنتجات

الغذائية.. ربما لهذا لا أحب دخول المطبخ أثناء إعداد الطعام، لا أحب رؤية عملية الإعداد، والمطبخ فى حالة فوضى ومواد الطعام مبعثرة هنا وهناك، من الأفضل أن أرى كل ذلك وقد تحول إلى طبق كامل جاهز على مائدة الطعام.. الشىء نفسه بالنسبة إلى عمليات إعداد مسكن جديد، فأنا أهرب من رؤية عملية الإعداد والتكسير والبياض والتشطيب.. إلخ، وأفضل أن يتم ذلك كله بعيداً عنى على عكس آخرين يهوون متابعة كل تفصيلة.

تركت أفكارى وتعلقت عيناى بالظلام الدامس الذى غرقنا فيه داخل كابينة الطائرة، ثم فجأة لمحت خيطًا رفيعًا، ثم ما هى إلا ثوانٍ حتى سمعت صوت عجلات الطائرة وهى تلامس أرض الممر الذى بدا أننا هبطنا فوقه دون أن نراه.. وكان الصمت مازال مخيمًا (الكابتن ومساعده موظف اللاسلكى وأنا) وانقشع الظلام المحيط، وبدأنا نرى ما أمامنا.. وسألت ماذا حدث؟ قال: هبطنا، هذه كل الحكاية.. قلت: هكذا دائمًا قال: فى بعض الأحيان تنعدم الرؤية فنستعين استعانة كاملة بالأجهزة.. قلت: ولم تجد إلا هذه المرة لتدعونى لرؤيتها؟ قال ضاحكًا: حمداً لله على السلامة.

تذكرت كل ذلك وأنا جالس فى طائرة أخرى تذيع صوراً تعرضها شاشات التليفزيون فى الطائرة لعملية الهبوط إلى المطار، كما تنقلها عدسة التصوير المثبتة فى مقدمة باطن الطائرة، كان الأمر مختلفًا فأرض المطار واضحة، وليس هناك ما يخيف.. مع ذلك فضلت أن أغمض عينى

بل العرب الذين تخلّوا..!

لمدة ٣٠ سنة شاع حتى بدت حقيقة أن السادات عندما وقع إتفاق ٢٦ مارس ١٩٧٩ مع إسرائيل، تخلى عن العرب وباع القضية الفلسطينية،فى حين أن العرب هم الذين تخلوا عن السادات وجعلوا الاتفاق مع إسرائيل منفردًا، وأن بعض الفلسطينيين هم الذين ومازالوا يبيعون القضية لصالح جيوبهم !

إن العرب فى ٧٧ لم يتركوا فرصة للسادات يحارب معركته مع إسرائيل، وإنما كانوا حربًا أخرى ضد السادات أسوأ من إسرائيل. وإلا لنا أن نتصور ماذا لو كان العرب بدلاً من موقف الحرب والهجوم والتخوين الذى اتخذوه فى ذلك الوقت قد أعلنوا منح السادات فرصته وتأييده فى أية إيجابية يصل إليها ومساندته، من المؤكد أن النتائج كانت قد تغيرت كثيرًا والأرض المحتلة التى امتلأت خلال هذه السنين بالمستوطنات والمتغيرات قد عادت إلى أصحابها..

حتى لو كان السادات قد أخطأ فى تصور البعض فقد كان خطؤه لصالح الهدف وهو عودة الأرض والحقوق المغتصبة، وكانت المصلحة العليا تقتضى مساندته فى نصف الكوب الخالى ليملؤنه معه بدلاً من يحاولون تحطيم الكوب كله !

واليوم بعد مرور السنوات من يستطيع أن ينكر الرؤية البعيدة التى قامت عليها مبادرة السادات ؟من يستطيع إنكار أن إسرائيل كانت فى ٧٧ حقيقة واقعة اعترف بها العالم وحملت كل القوى العالمية مسئوليه أمنها وحماية وجودها كما قال السادات مبررًا الاعتراف بإسرائيل أمام الكنيست ؟ ومن يستطيع إنكار أن من

يضع يده على الأرض هو الأقوى ،وأن الحرب قد حققت آخر ما تستطيعه فى ٧٣ ولم يعد هناك غير السياسة؟ ومن يستطيع إنكار حتمية التفاوض لحسم أى صراع وإنكار ماسبق إليه السادات من امتلاك أمريكا القوة السياسية الحقيقية، وأن ما قام به السادات فى ٧٧ كان أول مبادرة فى تاريخ العرب من أجل القضية بينما التاريخ العربى كله ردود فعل بلا نتيجة ؟ ومن ينكر اليوم ماقاله السادات عام ٧٨ لوزير خارجيته المستقيل إبراهيم كامل (مذكراته عن كامب ديفيد): إسألنى أنا عن العرب فهم لو تركوا لشأنهم لن يحلوا ويربطوا وسيظل الإحتلال الإسرائيلى قائمًا إلى أن ينتهى إلى التهام الأراضى المحتلة دون أن يحرك العرب ساكنًا غير إطلاق الشعارات دون الإجماع على حل !!

قصة من الحياة

كان الأب والأم يمرجحان ابنتهما ذات السنة والنصف، عندما لاحظت الأم أن وجه طفلتها (جيمى) - وهذا هو اسمها - ممتقع وأصفر بشكل غير طبيعى، وسألت زوجها عن هذه الظاهرة الفجائية، فقال لها زوجها: أعتقد أنها قد أصيبت بدوار نتيجة لحركة الأرجوحة، فحملاها للداخل، غير أن حالتها بدأت تتدهور، فذهبا بها إلى طبيب الأطفال المشرف على ولادتها، فطمأنهما قائلاً: لا داعى للقلق، وتعالا بها مرّة ثانية بعد شهر.غير أن حالة الطفلة بدأت تزداد سوءًا. فذهبا بها على عجل إلى نفس الطبيب وعندما أجرى عليها فحصًا دقيقًا اكتشف أنها مصابة بتمزق فى القناة الصفراوية فى الكبد، وقرر إجراء جراحة عاجلة فى غضون أيام لكنه اضطر إلى إلغاء الجراحة لعدم توافر كبد بديل لزرعه.وقال لوالدى الطفلة: «القرار لكما» فسألته الأم: «وهل تموت جيمى إذا لم تجر لها الجراحة؟» فأجابها: «نعم». ونصحهما بعدم التفتيش عن كبد لزرعه لأن ذلك يتطلب تضحيات مادية ومعنوية كبيرة وهناك عقبات لا تحصى فى إيجاد متبرع بكبده وهما فى النهاية لن يحصدا إلا الخيبة والموت.

واتجه الأب إلى وسائل الإعلام التى تعاطفت معه فى البداية قليلاً ثم خف اهتمامها. وبقيت أمامه مشكلة عويصة؛ فكبد الطفلة صغير وهى تحتاج إلى متبرع من فئة دمها وله حجم ووزن كبدها. وبعد خمسة أسابيع تقريبًا عرف أن هناك مؤتمرًا طبيًا فى نيويورك، وذهب إلى رئيس المؤتمر يرجوه أن يطرح مشكلته فى المؤتمر، غير أن الرئيس اعتذر له لأنه لم يسبق أن سمح لرجل عادى أن يتكلم فى مثل هذا المؤتمر العلمى. وبعد إلحاح سمح له أن يلقى كلمته فى دقيقة وإذا

زاد عنها ثانية واحدة سوف يفصل عنه الميكروفون.ووقف الوالد فى قاعة الاحتفالات وقد سلطت عليه الأضواء الساطعة على نحو مزعج حتى أنه لم يتمكن من رؤية أى من الوجوه الأربعمائة المحدقة إليه. بدأ بشكر الأطباء الذين أفسحوا له المجال ليتكلم إلى الرأى العام.وقال بلهجة حنونة: «سئلت يومًا إذا كانت لدى "جيمى" لعبة مفضلة، فأجبت: نعم، عندها بطة كبيرة محشوة بالقطن تغنى أنشودة مألوفة: أنت شمسى». وتلا كلمات الأغنية ثم ردد بحنان: «إنها شمس حياتى وأنا أحبها كثيرًا، وأشكركم شكرًا جزيلاً»، ثم انخرط فى موجة بكاء مريرة قبل أن تنتهى الدقيقة، وبعدها انفجر الحضور بالتصفيق الحاد وهم واقفون لمدة خمس دقائق كاملة.

فى هذه الأثناء كان هناك أب وأم يشاهدان وقائع ذلك المؤتمر بالتليفزيون واستمعا لكلمة الأب، وشاءت الأقدار أنه بعد ستة أيام حدث لهما تصادم أودى بحياة ابنتهما ذات العشرة أشهر، فتبرعا بكبدها رأسًا لتلك الطفلة، التى أجروا لها العملية سريعًا، وقال الجراح: «ظننت أنها لن تصمد أكثر من أيام قليلة. كان كبدها متحجرًا كقطعة خشب. ولكن حالما زرع العضو الجديد بدأت جيمى تتورد».

كل هذا حصل عام ١٩٨٥، وقبل أشهر اشتركت (جيمى) فى مسابقة ملكة جمال الولاية التى هى فيها، وكانت الوصيفة الثانية للملكة.وهى الآن متزوجة وأنجبت ابنة صحيحة (أمّورة) أطلقت عليها اسم والدتها.

هذه هى القصة الإنسانية البسيطة التى نقلها الكاتب مشعل السديرى من إحدى الصحف الأجنبية ولم أستطع مقاومة نقلها عنه.

يوم من عمرى..!

١ – مدينة مانشستر : كانت أول مرة أفعلها منذ أكثر من ٣٠ سنة.. أن أتفرج على مباراة كروية من داخل الملعب.. وأين ؟ فى انجلترا بين فريقى مانشستريونايتد الانجليزى وبرشلونة الأسبانى فى مباراة فاصلة تحدد من يلعب المباراة النهائية على بطولة أندية أوروبا فى موسكو يوم ٢١ مايو.

المباراة نفسها أكذب لو قلت أننى استمتعت بها كمباراة.. فلم أستطع متابعة اللعب لأن الفرجة المستديمة على مباريات التليفزيون لأكثر من ٣٠ سنة جعلتنى منضبطًا مع شاشاته وكاميراته وإعاداته لكل هدف وكل فاول بالبطىء المريح من مختلف الزوايا والاركان والى درجة انه عندما سجلت يونايتد الهدف الوحيد الذى سجل طوال المباراة فى الدقيقة الرابعة عشرة ,لم أشعر به الا من خلال البركان الذى فجرته صيحات أكثر من ٦٠ ألف مشجع ليونايتد من بين اجمالى الحضور البالغ ٧٥٠٦١ متفرجا حسب الاحصائية التى أذاعها مذيع الملعب..! وقد تلفّت حولى فى انتظار إعادة الهدف ورؤيته بمزاج كما تعودت أمام التلفزيون وكانت صدمتى عندما هربت منى أهم لحظات المباراة وهى لحظات تسجيل الهدف الوحيد دون رؤيتها.

المتعة البالغة كانت فى "الشو" والمهرجان والمتفرجين والأغانى والأناشيد والجو الملىء حيوية وبهجة والذى أحاط بالمباراة ,وربما ساعد على ذلك تقدم يونايتد على ملعبه ووسط جمهوره من الدقيقة الرابعة عشرة لتستمر الأغانى بلا توقف.

كانت المفاجأة التى سبقت عندما دخلنا ملعب يونايتد فى مدينة مانشستر والمعروف باسم "اولد ترانفورد" وقد قرأت أنه من أكبر ملاعب الأندية البريطانية إلا أننى وجدت نفسى كما لو كنت فى ملعب المحلة أو ملعب المصرى !.. فالمقاعد فى الصف الأول قريبة من اللاعبين وارتفاع السور الخشبى الفاصل بينهم وبين المتفرجين يمكن بسهولة القفز فوقه.. أما لون أرض الملعب الأخضر لون النجيلة العفية.. فشىء يفتح النفس ويشعرك أن هذا ملعب لم تخطو فوقه قدم من شدة العناية به !.. وحتى ماقبل المباراة بخمس دقائق كانت أكثر من نصف مقاعد المشاهدين مازالت خالية الأمر الذى جعلنى أميل على جارى الدكتور حسام بدراوى والمهندس صلاح دياب أقول لهما هامسًا: يبدو أن شركة,, فودافون ,,التى رتبت الدعوة لنا بين٢٠ مصريًا وهى أحد الرعاة للبطولة قد دعتنا لملأ بعض الأماكن الخالية !

مانشستر من الملعب

٢ – مانشستر: رغم أنه ملعب إلا أنه كان يبدو كمسرح أوبرا.. فكل متفرج له بحسب رقم التذكرة التى يحملها باب معين يدخل ويخرج منه بدون زحام، وكرسى يحمل رقم تذكرته ضامن أنه محفوظ له، والجميع أساس حركتهم الوقت المنضبط بالدقيقة والثانية. فالقطار الذى حملنا من لندن إلى مدينة مانشستر تحرك فى موعده تمامًا فى الحادية عشرة و ٢٤ دقيقة ووصل فى موعده تمامًا بعد ساعتين و ١١ دقيقة...

وبحسب عادتنا فقد دخلنا الملعب قبل ساعة من المباراة لنجد جمهورًا لا يتجاوز عدده جمهور أى مباراة من فرق دورى الدرجة الثانية فى مصر.. وقد اكتشفنا مجموعة المصريين الذين دُعوا من مصر إلى مانشستر لمشاهدة واحدة من أهم المباريات بين يونايتد مانشستر وبرشلونه أننا جميعًا أعضاء فى جمعية الفرجة على التليفزيون، بل إن فينا من اعترف فى لحظة انبهار بما يرى وقد اعترف مهندس الكومبيوتر عادل دانش بأن هذه هى أول مرة فى حياته يمر بهذه التجربة التى يتفرج فيها على مباراة من داخل الملعب فهو لم يفعلها من قبل حتى فى مصر!!

ولم يكن ماتوقعناه من تغيب المتفرجين الذين خلت مقاعدهم صحيحًا، فقبل نصف دقيقة وربما أقل من موعد انطلاق صفارة المباراة كان كل مقعد خالى قد احتله متفرج.. وقد تبين أنهم جاءوا على مهلهم فالمقاعد لكل منها رقمه وكل

تذكرة تحمل رقم المقعد الذى لا يجرؤ أن يحتله شخص آخر،وحتى الذين وصلوا مبكرين راحوا يستمتعون بالدقائق التى تسبق هذا الحفل فى كافتريات أسعارها عادية ربما أقل من الأسعار فى الخارج على عكس الأسعار الاستغلالية عندنا. ثم إن دورات المياه نظيفة، وهناك شاشات صغيرة للتليفزيون فى منطقة الاستراحة المغطاة. ولكن بدون تدخين.. فهنا مثل كل ملعب وكازينو وفندق ومطعم ومصرف ومحل وأوتوبيس وقطار وكل مكان عام فى انجلترا محظور التدخين..

وبين الأغانى التى لاتتوقف والوقوف والجلوس أكثر من ٦٠ مرة لمتابعة الكرات البعيدة والموسيقى الحماسية التى كان يديرها مايسترو خفى لاشعال وضبط حماس المتفرجين واللاعبين ,مضى الوقت سريعًا بالنسبة لنا.. إلى أن انفجر البركان مرة أخرى مع صفارة النهاية وبعدها شاهدت لأول مرة على الطبيعة "سير اليكس فيرجسون" المدير الفنى الشهير الذى صنع أسطورة يونايتد على مدى ٢٥ عامًا وقد هدأت حركة لبانته التى لا تتوقف طوال المباراة واكتسى وجهه بفرحة الفوز..!!

ومن الملعب إلى الأتوبيس إلى العشاء فى المدينة استعدادا لمواجهة ليلة لابد أن مانشستر كلها ستسهر فيها حتى الصباح دون أن يغمض لها جفن أو تتوقف فيها الكلاكسات !!.

صانع البطولات

٣ - مانشستر: كأنه لم تكن هناك مباراة ولا ٧٥ ألف متفرج انفصلوا عن كوكب الارض وكانوا يحلقون بعيدًا فى أرض ملعب يونايتد,وملايين آخرون كانوا يتابعون المباراة تليفزيونيًا بجنون.. وكأن المباراة تهم مدينة أخرى غير مانشستر وناديًا آخر يعد أكبر أندية أوروبا هو نادى مانشستر يونايتد.. فعلى طول طريق العودة بعد المباراة ورغم الجو المثالى ليوم رياضى بدون نقطة مطر.. لم نسمع كلاكس سيارة واحدة ولا إشارة لحدث غير عادى انتهى قبل دقائق.. فالمباراة انتهت وكل شىء ذهب لحاله وغدا يوم جديد للعمل!!

تعتبر مدينة مانشستر ثالث أكبر مدينة انجليزية وأهم بلد فى بريطانيا بالنسبة لإقامة أى مشروع بيزنس.. وتاريخيًا فهى أول مدينة صناعية فى العالم منذ الثورة الصناعية فى القرن الـ ١٨ وقد ظلت لفترة عاصمة صناعة النسيج وغزل القطن عندما كانت جزءًا من مقاطعة لانكشير.. وفى الحرب العالمية الثانية تحولت مصانعها إلى صناعة القنابل وموتورات الطائرات ونالت لهذا السبب نصيبًا وافرًا من الغارات الألمانية التى دمرتها وكانت أسوأ ليلة فى حياتها ليلة ٢٢ / ٢٣ ديسمبر ١٩٤٠ عندما سقطت فوقها ٣٧ ألف قنبلة..!

وفيما بعد الحرب تحولت مانشستر إلى أحد المراكز المالية الكبيرة لكن شهرتها الأكبر كانت عندما تولى «اليكس فيرجسون» إدارة فريق نادى مانشستر يونايتد المتواضع عام ١٩٨٦ وجعله نادى البطولات (حصل معه حتى اليوم على ١٨

بطولة منها ١٥ بطولة لدورى إنجلترا) وكانت قمة أساطير يونايتد عندما تمكن فى أقل من دقيقتين من الوقت بدل الضائع من نشل بطولة أندية أوروبا من نادى "بايرن ميونيخ" الذى كان متقدمًا بهدف.. وعلى طريقة كرة السلة سجل يونايتد هدفين فى دقيقة ونصف وسرق الكأس من الفريق الألمانى الذى وقف لاعبوه فى حالة ذهول أشبه بأى ريفى ساذج وصل المدينة وأبلغ عن نشل محفظته المربوطة إلى بطنه..!!

الشهرة أصبحت سمة يونايتد ومانشستر نفسها أصبحت تعرف بالنادى الذى يعتبر اليوم أغنى نادى فى العالم أما فيرجسون (٥ ملايين جنيه راتب فى السنة) فقد تغيرت عليه أسماء كثيرة من اللاعبين ورغم ذلك مازال يصنع البطولات ولعله بذلك أحد المديرين الفنيين الذين أثبتوا أن عقل المدير أهم من حذاء أى لاعب..!

عندما يتشاجر السفيران

التقت مركبتا السفيرين الأسبانى والفرنسى فى شارع ضيق فى مدينة لاهاى، إحدى مدن هولندا، وطلب كل سفير من سائق عربته ألا يفسح المجال لمرور العربة الأخرى، على أساس أن ذلك يعد تنازلا من الذى يفسح الطريق يتضمن مساسًا بجلالة ملك كل منهما، ورفض أى من السفيرين التنازل عن موقفه.. تدخلت حكومة هولندا محاولة.. ولكن السفيرين رفضا الأمر لسائقيهما بالتحرك جانبًا.. وبعد جدال قررت الحكومة الهولندية هدم السور الواقع على إحدى حافتى الطريق حتى تستطيع العربتان المرور فى وقت واحد دون أن يتنازل أحدهما للآخر حتى يمر أولاً.

حدث هذا فى القرن السابع عشر، وكثيرًا ما تكررت مثل هذه المواقف، خاصة بين سفراء الدول التى ليست على علاقات طيبة، لذلك كانت قاعدة تنظيم الأسبقية بين السفراء من بين القواعد التى حرص المؤتمر الذى عقد عام ١٨١٥ على تنظيمها ونتيجة لهذه القواعد تم تقسيم الممثلين الدبلوماسيين لدولة لدى دولة أخرى إلى أربع درجات تضم الأولى السفراء، والسفير هو الذى يختاره رئيس الدولة ليوفده باسمه إلى رئيس دولة أخرى للقيام بالأعمال التى يعهد بها فى تمثيل شخص رئيس دولته.

ويأتى بعد السفراء المندوبون الوزراء المفوضون وهو اسم يطلق على الدبلوماسى الذى يلى السفير فى الأقدمية ويسمى كل منهم الوزير المفوض

والمندوب فوق العادة.. وبعد هؤلاء يأتى الوزراء المقيمون وهم لا يمثلون رئيس الدولة الذى أوفدهم بل يمثلون دولتهم أو حكومتهم فى المهمة التى يقومون بها ثم يأتى بعدها القائمون بالأعمال وهؤلاء يعتمدون لدى وزير الخارجية بموجب كتاب صادر من وزير خارجية دولتهم وبذلك يصبح السفير هو الأعلى فى السلم الدبلوماسى ويصدر بتعيينه قرار أو مرسوم من رئيس الدولة يحدد العاصمة التى سيعين بها، ولكن لا يجوز الإعلان عن ترشيح هذا السفير قبل وصول موافقة الدولة المستقبلة له، وقد حدث مرات أن اعتذرت عاصمة عن تولى بعض الأشخاص تمثيل بلادهم كسفراء غير أن هذا يتم عادة فى مشاورات مغلقة، وإلا اعتبر ذلك نوعًا من إهانة الدولة التى رفض مرشحها.

وقد أصبح تقليدًا ثابتًا فى كل دولة تحديد أسبقية أفراد السلك الدبلوماسى تبعًا لدرجاتهم.. فرؤساء البعثات (السفراء) لهم جدولهم والوزراء المفوضون لهم جدول آخر.. ويحدد كل جدول ترتيب أفراده وأسبقية سفير عن سفير حسب تاريخ تقديم أوراق الاعتماد وهو حسب الوصول إلى البلد المضيف باستثناء سفير البابا (القاضى الرسولى) الذى يعتبر فى الدول الكاثوليكية عميدًا للسلك الدبلوماسى بغض النظر عن تاريخ وصوله أو تقديمه أوراق الاعتماد، ولعل هذا ما منع عدم تكرار حادث سفيرى أسبانيا وفرنسا حين رفض كل منهما التنازل للآخر!

فاطمة للمرة الخمسين

فى عام ١٩٤٨ أغلقت أم كلثوم بالمفتاح باب مكتبها فى الفيللا التى كانت تسكن فيها على الكاتب الصحفى مصطفى أمين، ولم تسمح له بالخروج إلا بعد أن كتب قصة الفيلم الذى كان عليها أن تمثله للسينما.

وهكذا ولد فيلم «فاطمة» الذى تلعب فيه أم كلثوم دور ممرضة بسيطة تستدعى لعلاج الباشا سليمان نجيب، فيقع فى حبها أخوه الشاب أنور وجدى ويغريها بالزواج العرفى.. ولكنها عندما تنجب طفلاً، يتنكر لها ويرفض أبوّة الطفل إلى أن تنجح فى تحريك مشاعره أمام المحكمة وتسلمه الطفل ليحتضنه بين ذراعيه ويشعر بصلة الدم التى تربطه بالمولود، فينهار ويعلن اعترافه أمام المحكمة بأنه والد الطفل.. وينتهى الفيلم بالأفراح والزغاريد يطلقها أهل الحارة التى تسكن فيها فاطمة!

ورغم مرور عشرات السنين على الفيلم، فإنه مازال يعاد عرضه بأبطال حقيقيين أمام المحاكم التى تتلقى يوميًا العديد من الدعاوى التى تطالب صاحباتها بإثبات بنوة الأطفال الذين أنجبنهم إلى أزواج عقدوا عليهن عرفيًا.. وبدون اعتراف الأب ببنوة الطفل يصعب على الأم إثبات البنوة، وهو ما جعل فريقًا من رجال الدين يشدد على حرمانية الزواج العرفى لأنه لا يحفظ الحقوق عندما تثور المشاكل.

آخر أفلام فاطمة فى شكلها الجديد تلك التى تجرى مشاهدها أمام إحدى المحاكم وفى قنوات الفضائيات، وفيها تنسب شابة اسمها هند الحناوى إلى الممثل

أحمد الفيشاوى ابن النجم فاروق الفيشاوى أنه تزوجها زواجًا عرفيًا أثمر عن مولودة سميت «لينا» لكن أحمد ينكر نسبها إليه.. وكما فعلت أسرة فاطمة فى الفيلم الشهير خلال احداث الفيلم عندما قررت مساندة ابنتها فى صراعها أمام القضاء من دون خجل لاثبات نسب الطفل، كذلك فعل والد هند حيث تحدث بصراحة فى جميع البرامج التلفزيونية التى استضافته ووجدت فيما يقول مادة مثيرة للقيل والقال.

الدعوى مازالت مرفوعة أمام المحاكم وقد أحاطت بها عاصفة كبيرة من الأقوال التى كان يجب إدخارها والاحتكام إلى تحليل الحامض النووى الذى أصبح دليلاً مؤكدًا لإثبات نسب الطفل.. وإذا كان والد الفتاة يقصد فعلا الحصول على حق ابنته باعتبار أن النسب صحيح، فقد كان عليه أن يحتكم لتحليل الحامض النووى للشاب الذى يتهمه.. لكن الواضح أن ما جرى حتى اليوم ليس إلا عواصف هوجاء أطلقتها الفتاة وأسرتها يمكن أن تضرها ضررًا بالغًا إذا جاءت نتيجة الحامض النووى سلبية.. أحيانًا أتساءل : هل المطلوب فى مثل هذه الحالات توفير المظلة الشرعية التى تحمى الطفل وتؤكد نسبه.. أم التشويش على نجم فى بداية الطريق قد يكون كاذبًا وقد يكون أيضًا صادقًا إلى أن يثبت التحليل!

قصة طلاق !

قال الزوج أمام زوجته عندما وقفا معًا أمام القاضى: تصور يا سيادة القاضى أول يوم رأيتها فيه كانت فى زيارة إلى بيت الجيران فأوقفت سيارتى عند الباب الخلفى وذهبت لأتلصص من بعيد، وما هى إلا ثوان حتى سمعت صوت اصطدام عظيم فهرعت لأجد عربة جمع القمامة قد هشمت سيارتى. وفى اليوم الذى ذهب أهلى لخطبتها توفيت والدتى فى الطريق وتحول المشوار من منزل العروس إلى مدافن العائلة. وفى فترة الخطوبة كنت كل مرة أصطحبها إلى السوق يلتقطنى الرادار. وإذا حدث وخففت السرعة استلمت مخالفة مرورية بسبب وقوف فى مكان ممنوع ! ويوم العرس شب حريق هائل فى منزل الجيران، فامتدت النيران إلى منزلنا والتهمت جانبًا كبيرًا من المطبخ.

وفى اليوم التالى جاء والدى لزيارتنا فكسرت ساقه، بعد أن تدحرج من فوق السلم ودخل المستشفى وهناك قالوا لنا أنه مصاب بمرض السكرى على الرغم من تمتعه بصحة جيدة وأخذناه للعلاج إلى الخارج ولم يعد من يومها حتى اليوم. وكلما جاء أخى وزوجته لزيارتنا، دب خلاف مفاجئ بينهما، واشتعلت المشاجرات وأقسم عليها بالعودة إلى بيت أهلها. وكانت كل عائلة تهمس لى بأن زوجتى هى سبب المصائب التى تهبط علينا، لكننى لم أكن أصدق فهى زوجة رائعة وبها كل الصفات التى يتمناها كل شاب. لكن يا سيادة القاضى بدأت ألاحظ أن حالتى المادية فى تدهور مستمر وأن راتبى بالكاد يكفى مصاريف الشهر، وبالأمس فقط،

فقدت وظيفتى فقررت ألا أبقى هذه الزوجة على ذمتى..! رغم ذلك أمر القاضى الزوج أن يبقى زوجته إلى عصمته وأقنعه بأن كل هذه الحوادث طبيعية لا دخل لها فيها، وأن تشاؤمه منها مبعثه كلام الناس المتواصل عنها.لكن قبل أن يغادر الرجل القاعة مع زوجته، تسلم القاضى رسالة بإنهاء خدماته.. فعاد ونادى على الزوج.. وقال له باقول لك إيه.. طلقها يا ابنى.. طلقها !

فى بالو آلتو

بالو آلتو : إنتقلنا من سان فرانسسكو والإقامة فى الفندق والمدينة ‘إلى الإقامة فى بيت صديق وقريب تعودنا ضرورة زيارته فى بلدة إسمها "بالو آلتو" تقع على مسافة ٤٠ كيلومترًا جنوب سان فرانسيسكو.هنا أكثر من ٩٠ فى المئة بيوت خاصة يعيش فيها أصحابها من أبوابها مع حديقة صغيرة لكل بيت وارتفاع لا يتجاوز طابقًا واحدًا يمكن زيادته عن طريق بناء بدروم، أما غير ذلك فممنوع ولا يجرؤ عليه أحد مهما كانت مكانته الاجتماعية أو المادية فالأساس أن الجميع متساوون.. متساوون فى النظام والالتزام بالقانون واحترام الجيرة وفى قواعد المرور بالشوارع الخالية من أى إشارات أو عساكر مرور ولكن يحكمها ما هو أقوى كثيرًا وهو ضرورة التوقف أمام تقاطع الشوارع وعدم تجاوز سرعة ٤٠ كيلومترًا أو إطلاق كلاكس أو تخطى سيارة ليس من حقك تخطيها أو عدم السماح لسيارة إسعاف أو شرطة أو حريق بالمرور العاجل دون تنبيه أو إلحاح بصوت النفير الخاص

وقد لايعرف كثيرون اسم "بالو آلتو" وإن كان معروفًا جامعة ستانفورد الموجودة فيها وتعتبر من أشهر ملامحها وأشهر جامعات العالم ودرجة ترتيبها الثالثة بين ٩٠٠٠ جامعة أولها هارفارد فى أمريكا ثم كمبردج فى بريطانيا.

واسم ستانفورد هو اسم الذى بناها "جين ستانفورد وزوجته ليلاند" وكانا من كبار أغنياء كاليفورنيا ولديهما ولد وحيد مات من التيفود فى الخامسة عشرة،

وفى دوامة الحزن رفع الأب رأسه وقال لزوجته بصوت عال لقد فقدنا ابنًا ولكننا سنعوضه بكل أبناء كاليفورنيا.. ووهب ستانفورد الجامعة ٨٠٠٠ فدان واشترط ألا ترتبط بأى منظمة أو جمعية دينية كما كل الجامعات فى ذلك الوقت وأن تكون دراساتها للمستقبل لا للماضى وأن تفتح أبوابها للجنسين فى الوقت الذى كانت الجامعات الخاصة مقصورة على الذكور..

وفى بالو آلتو يوجد مقر شركة جوجل للأبحاث وموظفوها لا مكاتب ثابتة لمعظمهم وإنما تراهم منتشرين تحت الشجر يحملون أجهزة الكومبيوتر، والبلد كلها أينما ذهبت عبارة عن شبكة من الإنترنت اللاسلكى المنتشرة فى كل مكان، فى الشارع أو المقهى أو المطعم.. ولكن ما يغيظ أنه رغم الحركة والناس والعربات فلا تكاد تسمع صوتًا.. حتى أطفالهم لا يصرخون !

يوم جمع القمامة

بالو آلتو: اليوم الثانى فى بيت صديقى المصرى فى بلدة "بالو آلتو" ٤٠ كم جنوب سان فرانسسكو وهى من بلدة صغيرة كبيرة (٥٠ ألف نسمة) فيها كل الاحتياجات ومن معالمها جامعة ستانفورد و"سليكون فالى" أو وادى ثورة الكومبيوتر والإنترنت التى بدأها بيل جيتس و"جوجل" أشهر وأضخم مواقع البحث على الانترنت.

دق جرس الباب عامل صيانة التكييف وكانت زوجة صديقى قد حددت له موعداً مسبقًا بين الثامنة والتاسعة صباحًا.. دخل يحمل سلمه ويرتدى فى قدمه حذاء من البلاستيك أقوى من النوع المستخدم فى المستشفيات. كان واضحا أنه لا يدخل بيتًا إلا إذا ارتداه حماية للبيت من حذائه. فكرت فى العامل المصرى الذى يغوص بقدميه وحذاؤه أرضية أى بيت يدخله ويأسف. هذا إذا فكر فى الأسف. لأن طين حذاؤه طبع بصمته على السجادة أو أرضية البيت. ولو طلب إليه أحد أن يخلع حذائه قبل الدخول اعتبر ذلك إهانة، فى حين أنه فقر فى الثقافة وفى الإحساس بالمسئولية، بل قد يشعر بعضهم بسعادة داخلية إذا لطخ جزءًا فى البيت على أساس أن هذا من عدالة المساواة فى الإشتراكية.. إشتراكية التلطيخ !

فى منتصف النهار وصل عامل الحديقة ومساعده ولهما زيارة أسبوعية لقص الشجر والنجيل وتنظيف الحديقة.. كانت هناك سجادة مفروشة بالحديقة سمعت

صوت العامل يعتذر لزوجة صديقى لأنه للأسف مزق بعض خيوطها نتيجة إساءة استخدامه المكنسة. قبلت الزوجة اعتذار العامل وقبل هو خصم تكاليف إصلاح السجادة من حساب زيارته القادمة !

فى نفس اليوم كان أمام صديقى وزوجته عمل مهم استعداداً لإخراج صناديق القمامة الثلاثة: الأول أزرق اللون لكل المواد التى يمكن إعادة تدويرها لإنتاجها واستخدامها من جديد من ورق وبلاستيك وزجاج وخشب، والصندوق الثانى البنى اللون للقمامة العضوية المتبقية من الطعام،والصندوق الثالث أخضر زيتى غامق اللون لمخلفات الحديقة. وتوضع الصناديق الثلاثة خارج البيت بعد إغلاقها بإحكام. وسألت وقيل لى أن من يفوته يوم جمع القمامة عليه أن يحملها بنفسه ويودعها فى المقلب العام أو يتركها داخل البيت إلى الأسبوع القادم، فلا يسمح بوجود أى عربة قمامة خارج البيت إلا فى ليلة مرورالعربة التى تجمع الصناديق !

وغير ذلك من المواد يقوم صاحب البيت بحملها بنفسه وإيداعها محطة القمامة. من ذلك مثلاً ثلاجة قديمة أو بوتاجاز أو فيديو أو أى من الأجهزة التى تخرج عن المسموح للعربات الدورية بحملها. مما يجعل المواطن شريكًا فى نظافة بلده .

الابتسامة التى أتمناها

بالو آلتو: أنقل من مفكرتى الصغيرة وبإيجاز

** الصحيفة الورقية ستختفى قريبًا وتصبح كلمات مكتوبة على الكومبيوتر المحمول الذى سيصبح فى حجم التليفون فى كل يد وكل جيب.. الصحيفة الورقية أصبحت عبئًا على المشترى بعد قراءتها وأصبحت مشكلة فى التخلص منها .

** محلاتنا فى مصر تتنافس فى استخدام الأكياس البلاستيك فى تعبئة السلع والمواد الغذائية بالذات، فى الوقت الذى تقرأ فى معظم المحال الأمريكية عبارة "قل لا لكيس البلاستيك" ويقومون بتعبئة المشتريات فى أكياس ورقية بدلاً من البلاستيكية التى ثبت تلويثها للبيئة.. !

** قالت لى كنا ننتظر حجز أماكن فى كثير من المطاعم بالأيام، اليوم تستطيع أن تجد مكانًا فى نفس الساعة التى تصل فيها إلى المطعم. والفضل للأزمة الاقتصادية..!

** إذا كنت تريد الاستمتاع بأمريكا.. إترك المدن الكبيرة واذهب إلى المدن الصغيرة.. أولاً كل شىء موجود فيها، وثانيًا تستطيع التنقل منها إلى عشرات المدن الصغيرة الأخرى حولها، وثالثًا الهدوء فيها أجمل وأحلى..

** بالمناسبة ليس فى أمريكا قرى وفلاحين وطرق ترابية وعشش.. أمريكا لاتعرف القرى وإنما المدن المختلفة الأحجام وأكبرها نيويورك ولوس أنجلوس

وشيكاجو. عدد المدن حسب الإحصائية الأمريكية ٧٤ ألف مدينة منها ٤٥٨ فى ولاية كاليفورنيا التى تتبعها مدينة "بالو آلتو" التى أكتب منها.

** فى "بالو آلتو" سينما متخصصة فى عرض الأفلام القديمة جدًا. فى كل حفلة فيلمين قديمين. من أفلام هذا الشهر: تاكسى (إنتاج ١٩٣١ بطولة جيمس كاجنى ولوريتا يونج) والملكة كريستينا (إنتاج ١٩٣٣ بطولة جريتا جاربو وجون جيلبرت) والجنون الأمريكى (١٩٣٢ بطولة والتر هيوستن وبات أوبريان) والأبرياء (١٩٦١: ديبورا كير وباميلا فرانكلين)،وقصة فلاديلفيا (١٩٤٠ كاترين هيبورن وكارى جرانت).. زبائن هذه الأفلام مازالو كثيرين ومعظمهم من الشباب..

** إحصائية : فى أمريكا ١٤٩٥١ مطارا و٢٢١٨ قناة تلفزيونية و٨٩٦١ إذاعة (FM) غير ٤٧٨٩ إذاعة متوسطة.

** لست مبهورًا بأمريكا المحال والشوارع والنظافة فكل هذا يخضع لنظام موحد، وإنما إعجابى بالابتسامة التى يستقبلك بها غالبًا كل بائع.. لايبدأ بالتعامل معك قبل أن يسألك عن أحوالك.. صحيح أنه مجرد كلام ولكن حتى هذا أتمناه فى بلدى !

حكاية شجرة

بالو آلتو: أحكى عن تجربة عشتها اليوم مع صاحبة البيت الذى يستضيفنا فى مدينة "بالو آلتو" التى تقع على مسافة ٤٠ كيلومترًا جنوب سان فرانسسكو ويسكنها ٥٣ ألف نسمة فى مساحة لاتتجاوز ٢٥ ميلاً مربعًا. فمنذ أيام وصاحبة البيت كلما خرجت هى أو زوجها بالسيارة المركونة تحت شجرة أمام البيت يجد أن مادة تشبه الصمغ تلطخ السيارة.. وفى كل مرة يقوم أحدهما بتنظيف السيارة يجدان نفس المادة اللزجة تسيل أو تتساقط من الشجرة. وفكرت الزوجة قليلاً ثم وجدتها تتصل بإدارة المدينة وقالت للذى رد عليها إن لديها شكوى تريد إبلاغها عن شجرة أمام البيت تسيل منها مادة تشبه الصمغ وأنها تطلب من إدارة المدينة إزالة الشجرة لأن الأمر أصبح فوق الاحتمال !

جاء صوت موظف المدينة عبر ميكرفون التليفون المفتوح الذى تتحدث منه الزوجة يسألها عن العنوان وعندما أجابته غاب لحظات ثم جاء صوته يقول: سيدتى إن هذه الشجرة كما توضح لى معلومات الكومبيوتر أمامى تمت زراعتها فى مارس ١٩٩٦ وهذه الشجرة إسمها (قال إسمًا لم استطع تبينه) ومن خصائصها أنه يهاجمها فى بعض الأحيان نوع من الحشرات يعيش فيها ويسيل منه بقايا مثل التى تجدينها على سيارتك عبارة عن ماء مخلوط بنوع من السكر.!

قال موظف المدينة : من جهتى سأرسل مندوبنا للتفتيش على الشجرة،وفى الشتاء القادم سنقوم بحقنها بمادة تحافظ على الشجرة وجذورها ولكن فى

الوقت نفسه تقتل الحشرة،وإلى أن يحدث ذلك تستطيعين رشها بخرطوم الماء وسيقوم الماء بإنزال ماعليها من حشرات.. هل هناك أسئلة أخرى ؟!

انتهت المكالمة التى أوضحت أن مجلس المدينة فى بلدة صغيرة، يسجل تاريخ كل شجرة فى شوارع المدينة ونوعها وصحيفة أحوالها، وأنه فى نفس اللحظة التى سألت فيه ساكنة إحدى البيوت عن الشجرة التى أمام البيت جاءتها الإجابة.. ولولا أننى حضرت الواقعة لترددت فى تصديقها.. ومع ذلك لماذا نعجب ؟إنه العلم المتاح لكل البشر.. والمهم أن هناك ناس سبقوا وتعلموا واستفادوا، وآخرون استهوتهم الفرجة !

لماذا لم يركب الجمل

نظر الرئيس الأمريكى أوباما إلى الأهرامات التى زارها يوم ٤ يونيو (٢٠٠٩) وقال بصوت عال: الآن عرفت لماذا يقولون إن الذين بنوا الأهرامات هبطوا من السماء.. إنها فعلاً معجزة. وأمام أبو الهول قال أوباما: لم أتصور يوما أننى سأنظر إلى أبى الهول وجهًا لوجه.

كان الباقى ليختتم أوباما المشهد أن يركب الجمل الذى كان ينتظره، ولكن بناء على رجاء من زاهى حواس لم يفعلها أوباما ويركب الجمل !

اختلفنا حول موقف الدكتور حواس وضياعه على المصورين فرصة صورة كانت بالتأكيد ستغزو كل الصفحات الأولى فى صحف العالم لأوباما فوق الجمل وخلفه الأهرامات..

كنا نتناول العشاء فى أحد المطاعم المتخصصة فى السمك والمطلة على المحيط الأطلنطى فى سان فرانسسكو المميزة بطابعها الخاص وبيوتها الملونة وشوارعها الصاعدة والهابطة وعدد الشواذ الذين تفوق نسبتهم أى مكان فى العالم. كنا مجموعة يتصدرها السفير سامح شكرى سفير مصر فى أمريكا والسيدة قرينته وقد قدما من واشنطن خصيصًا لحضور الاحتفال بإفتتاح معرض كنوز الملك توت عنخ آمون وهو يطل على الشعب الأمريكى للمرة السادسة خلال ٣٠ عامًا ولكن هذه المرة من سان فرانسسكو. وكان هناك السفير هشام قبانى قنصل مصر فى ١٤ ولاية فى الجانب الغربى لأمريكا والسيدة زوجته، وزاهى

حواس عريس الإحتفال الذى تحيط به أينما ذهب شهرة الفراعنة الذى يجذب سامعيه عند الحديث عنهم، والزميل الكاتب الساخر الذى سعدت بمعرفته الأستاذ عاصم حنفى بمجلة روزا اليوسف، ومحمود شعبان مفتش الآثار الشاب بمنطقة سقارة وقد أراد د. حواس أن يكافأه فمنحه هذه الفرصة التى يزور فيها العالم لأول مرة وأين :فى سان فرانسسكو.. ومع كل هؤلاء وغيرهم من المسؤلين عن معرض "دييونج " الذى يحتضن كنوز الفرعون الشهير :زوجتى وأنا

هل أخطأ حواس عندما منع أوباما من ركوب الجمل ؟ تعددت الآراء ولكننا جميعًا وافقناه عندما قال بهدوء: إن لنا سنين ونحن نحاول محو فكرة أن مصر مازالت صحراء يركب أهلها الجمال، وإذا فعلها أوباما فسوف تعيدنا صورته وهو فوق ظهر الجمل إلى سنوات مضت، ويؤكد بصورة لن ينفع معها أى جهد أن مصر هى فعلاً بلاد الجمل والصحراء !

ابتسامات (١)

أفكر كثيرًا قبل أن يأتى صباح كل عيد كى أصافحك بابتسامة، وكما تعرف فكثير من الابتسامات لا يجوز كتابتها أو نشرها ففى الماضى خصوصًا فى الأفلام القديمة الأبيض والإسود كانت النكتة أو الكلمة مهذبة تضحك لها بصفاء أما إسقاطات كثير من أفلام هذه الأيام فتشعر بالخجل منها حتى إن ضحكت عليها.. وأحكى لك عن ثلاثة محششين أشاروا لتاكسى عرف سائقه إنهم مش هنا خالص فأدار مفتاح السيارة ثم طفاه وقال لهم : وصلنا.. الأول دفع الأجرة والثانى قال له متشكرين والثالث ضربه على رأسه وهو يقول له ماتبقاش تجرى بسرعة مرة تانية كنت حتموتنا (وأنتقل إلى نوعية من الأزواج "الرخمين "وأبدأ بالزوج الذى ماتت زوجته وسمع من أصدقائه أن الأموات تسمع وتحس فى قبورها فذهب إلى مقبرة زوجته وراح يدير إسطوانة " الحياة حلوة "، وهناك الزوج الذى طلق زوجته ونام وعندما استيقظ ووجدها تجلس حزينة قال لها ببرود : إنت زعلتى !!

ولكن هناك الزوج الذى راح يتغزل فى مولوده الجديد قائلاً : ياحلو ياجميل يامسكر.. قال له صديقه : إنت فاكره فاهم حاجة.. ده نايم ؟ قال الزوج : مين قال لك إننى باكلمه، أنا باكلم الممرضة (ولهذا قالت الزوجة لزوجها الذى همس لها : أنا ناوى أخليك أسعد زوجة فأجابته بأسى: بجد حتوحشنى !

وعن الأطباء حكاية دكتور العيون الذى أجرى عملية فاشلة لمريض فى عينيه وعندما رفع العصابة عن عينه اليمنى سأله وهو يشير إلى أصابع يده : دول كام ؟ قال المريض : مش شايف حاجة. ورفع الدكتور عصابة عينه الأخرى وسأله : دول

كام. قال المريض مش شايف حاجة خالص يادكتور. عند ذلك أمسك الدكتور بأذنه وراح يدعكها وهو يسأله : إيه دى ؟ قال المريض ودنى يادكتور. قال الدكتور قوم ياراجل ده إنت خضتنى !

وأحكى لك عن شرطى المرور الذى سأل السائق : إنت مش لابس الحزام ليه؟ قال السائق بسرعة: عشان مش لابس البنطلون ! وشرطى آخر سأل سائق كسر الإشارة: ماشفتش الإشارة ؟ قال السائق: الحقيقة شفتها بس ماشفتكش إنت! أشوفكواعلى خير..

ابتسامات (٢)

الهموم كثيرة، والابتسامات قليلة، ولهذا أحاول أن أنتقى مما قرأت بعض الحكايات الحقيقية وأبدأ بالبخيل الذى سقط فى الماء ولم يكن يعرف السباحة فأسرع إليه أحد الأشخاص صارخًا "هات إيدك" ولكنه لم يفعل وظل يغطس فى الماء إلى أن قال له الآخر "خد إيدى".

وأخرى ولكن عن فتاة كانت تغرق وأسرع إليها أحد الشبان قائلاً إدينى إيدك، قالت له بفرحة اطلبها من أبويا!

وهذا رجل كريم شبت النار فى بيته واستدعى المطافى وعندما حضر جنوده أقسم عليهم ألا يفعلوا أى شىء قبل أن يشربوا الشاى.

وأنقل من الحكايات القديمة للشاعر أحمد رامى أنه كان يسير فى شارع ٢٦ يوليو أيام كان السير فى الشوارع يعتبر فسحة،عندما التقاه أحد الثقلاء وأراد أن يتهرب، منه فقال له رامى ابقى خلينا نشوفك. قال له الثقيل بلهفة :فين ؟ قال رامى هنا فى الشارع ده.. أنا دايمًا أمشى فيه!

ومن النكت البايخة : طماطماية عطست قالت " كتشب ".

فيل داس على نملة قالت له ياواد ياتقيل.!

حبت تفرح جوزها ليلة الدخلة قالت له أنا حامل!

أتأخر عن ميعاد نومه نص ساعة لقى الحلم بدأ من ربع ساعة!

قال لصاحبه وهو يعلمه كيف يغازل فتاة : البنات عاوزة السياسة.. أول بنت قابلها قال لها إيه أخبار عمرو موسى ؟!

وأحكى عن راهب إيطالى صادف أسدا يتجه نحوه أثناء سيره فى الغابة فأسرع إلى الركوع على ركبتيه وراح يصلى وقد فوجئ بالأسد يركع مثله إلى جانبه ويتمتم بالصلاة. فقال له الراهب طيب أنا باصلى علشان ماتكلنيش إنت بتصلى ليه؟ قال له الأسد لأن من عوايدى أصلى قبل الأكل!

وهناك الصديق الذى سأل زميله : هى الهند بعيدة قوى؟ قال الثانى: مافتكرش لأن معانا واحد هندى فى الشغل بييجى كل يوم على عجلة. وآخر سأل صاحبه :لو دخلت وسط الحمير ممكن تعرفنى ؟ اجابه صديقه : بس اغمز لى إنت ومالكش دعوة. وهناك الزوج الرقيق الذى سمع زوجته تصرخ أثناء الولادة فى المستشفى فراح يشد شعره وهو يصيح باكيا : أنا السبب أنا السبب ! وعن إنفلونزا الطيور يقال إنه أخيرا تم العثور على الفرخة التى كانت السبب فى دخول الفيروس إلى مصر وسيستضيفونها فى برنامج " البيض بيضك "!.

ومن النكات إلى الحكايات وأولها عن نجاح لص سيارات فى بودابست عاصمة المجر،إذ ما أن شاهد قائد سيارة "ستيشن" موديل حديث يغادر السيارة تاركا مفتاحها يتدلى من "الكونتاكت" حتى قفز إلى مقعد السائق وطار بالسيارة. لكن على طريقة "نشنت يافالح" اكتشف أن داخل السيارة مكتظ برجال الشرطة الذين لم يستطع الحرامى رؤية واحد منهم من الخارج بسبب الزجاج المعتم للسيارة !

وفى إحدى القرى بغرب ألمانيا تمكن لص محترف آخر من سرقة سيارة نقل ما إن وصل بها إلى المكان المضمون وفتح باب "الكونتينر" الذى تجره السيارة حتى كانت المفاجأة : أسد جائع يقفز ناحيته لكن القضبان التى تحتجزه منعته.. الحرامى الفالح ترك الكونتينر بما حمل وذهب مع الريح !

ابتسامات أخرى (٣)

قالت الابنة لأبيها إنها تعرفت على شاب ممتاز فى عملها بدأت تميل إليه وتحبه. سألها الأب: هل عنده فلوس؟ قالت الابنة: يبدو إنكم جنس الرجال لكم طبيعة واحدة فهو أيضا سألنى: هل عندك فلوس؟

وعن زوجة سألتها صديقتها: هل زوجك صعب إرضاؤه؟ أجابتها قائلة: لا أعرف فلم يسبق لى أن حاولت ذلك!

وفيما بعد قال الزوج لصديقه: ابنى ترك البيت هربًا من أمه، سأله الصديق وماذا فعلت؟ قال الزوج: أبدًا.. لحقته وهربت أنا كمان!

وهناك الخادمة التى تركت البيت الذى تعمل فيه لأن الأطفال رجعيين جدًا، والأب متقدم جدًا..

وعندما سئل أحدهم عن رأيه فى فلانة فإنه أجاب: إذا كان بعض النساء يتميزن بنظرات حادة تستطيع أن تشل ساعة حائط عن الحركة، فإن نظراتها من الحدة التى تستطيع أن تشل سويسرا بأكملها!

أما هى فقالت تصف فلان: يا الله.. إنه يتميز بأنه يشع البهجة فى أى مكان.. إذا غادره!

وقالت امرأة أخرى عن رجل آخر: إنه يشعر بتأنيب الضمير عندما يجد الآخرين يضحكون!

وقالت امرأة ثالثة عن نفس الرجل السابق: مثل هذا الرجل لم يكن توجه إليه الدعوة لحضور أى احتفال.. وبعد لحظة سكوت قالت: هيه.. هذه كانت الأيام القديمة السعيدة!

وأحكى عن الصحفى الشاب الذى اندفع إلى مكتب رئيس التحرير قائلا: آسف.. ولكنى أريد تعديل فقرة فى مقالى. قال له رئيس التحرير: طيب الحق أحسن خدوا صفيحة الزبالة وحيرموا اللى فيها!

وهناك الكاتب الذى قال لصديقه: ياأخى حاجة غريبة.. كلما أسهر فى الكتابة لا أستطيع النوم.. قال له الصديق: بسيطة.. اقرأ إذن ما تكتبه!

وهناك صحفى آخر كتب إلى صديقه برقية يبلغه فيها وفاة عمه الذى ترك له ثروة كبيرة وقد قال له فيها: أمس فى تمام الساعة الخامسة انتقل عمك الى السماء ?,? وانتقلت أنت الى حياة أفضل..

وأنهى بحكاية البورسعيدى الشاطر الذى استورد صفقة شدات الصدر الحريمى (سوتيانات) سوداء اللون من إسرائيل وقام بقطع أشرطتها وأعاد تصديرها إليهم لاستخدامها طواقى ٢٠٠٤!

ابتسامات (٤)

الكساد فى سوق النكت واضح.. وكنت أتصور أننى المقصر إلى أن قرأت مقالاً نشره ملف الأهرام الاستراتيجى عن ظاهرة اختفاء النكتة بصورة عامة فى مصر. ومع ذلك أحاول رسم ابتسامة على شفتى القارئ مع بداية كل سنة.

وأبدأ بالمريض الذى سأل الدكتور: كل شوية اسمع جرس فى صرصور ودنى أعمل إيه؟ بهدوء أجابه الدكتور: ولا يهمك.. ما تردش عليه!

وهناك الزوج الذى راح يشكو لصديقه لأنه اكتشف أن زوجته لا تحبه، وعندما سأله الصديق: إزاى؟ قال له: لأنها لو كانت بتحبنى صحيح كانت اتجوزت واحد تانى غيرى.

وهناك الزوج الطائش الذى فاز برحلة لاثنين إلى باريس، فقام بالرحلة مرتين!

وفى حكاية أخرى أن عريسًا ذهب إلى أمه يوم الصباحية يرجوها: والنبى يامه عشان خاطرى خليها تبات معايا ليلة تانية!

وانتقل إلى الأب الذى قال لابنه: ليس هناك ياولدى أسوأ من أن تكون عجوزا مفلسا.. قال الابن: بل هناك الأسوأ أن تكون شابا ومفلسا!

وأعود إلى الأطباء وحكاية الطبيب الذى أكد للمريض أنه خلال أسبوعين سيسير على قدميه. وقول المريض لصديقه: الراجل ماكذبش.. بعد أسبوعين بالضبط كنت بابيع عربيتى علشان أسدد مصاريف العلاج!..

ودكتور آخر سمعوه فى غرفة العمليات يصرخ: يالهوى.. طيب إذا كان ده البنكرياس إمال اللى طلعناه إيه؟

ودكتور آخر أيضا فى غرفة العمليات نظر إلى مساعده وقال له فى دهشة: جاى تقول لى وأنا بأقفل الجرح إن مش ده المريض اللى داخل يشيل البروستاتا!

وأترك الأطباء إلى الأم التى راحت تستسفر عن خطيب ابنتها وسألت أم الخطيب إن كان ابنها يدخن فأجابتها قائلة: حد الله.. مايقربوش إلا إذا كان سكران أو مسطول!..

وأنهى بالجلسة الرومانسية التى قالت فيها الفتاة للشاب: شايف القمر ياحبيبى.. قال الشاب بلهفة: ماله ياحبيبتى.. قالت الفتاة بتنهد: ريحة رجليك واصله عنده !..

٢٥٠٠ لغة انقرضت وتنقرض

قالت منظمة التربية والثقافة والعلوم التابعة للأمم المتحدة "اليونسكو" إن نحو ٢٥٠٠ لغة قد انقرضت مؤخرا أو هى فى طريقها للانقراض من بين ٦ آلاف لغة يتحدثها سكان الأرض. وقد جاء ذلك فى احتفال جرى قبل عام أقامته المنظمة الدولية بمناسبة إصدارها ما أسمته " الأطلس العالمى الجديد للغات المهددة بالانقراض". وهو عنوان يكشف أن المنظمة الدولية أرادت أن تسجل تاريخ اللغات بما فى ذلك التى انقرضت أو المهددة بالانقراض حتى يبقى السجل كاملاً. وقد جاء فى الأطلس أن نحو ٢٠٠ لغة قد انقرضت على مدى ثلاثة أجيال، وإن هناك ١٩٩ لغة لا يتحدث بأى منها أكثر من عشرة أشخاص وبالتالى إذا توفوا ورحلوا ستنتهى هذه اللغات.

ويضيف الأطلس أن أكثر من ربع اللغات التى ينطق بها سكان الولايات المتحدة وعددها ١٩٢ لغة قد انقرض، وإن ٧١ لغة أخرى فى خطر داهم ومن هذه اللغات لغة اسمها "جروس فينترى" فى شمالى وسط مونتانا التى لا يصل عدد المتحدثين بها إلى عشرة أشخاص جميعهم مسنون، وليس بينهم من يتحدث اللغة بطلاقة، إذ توفى آخر هؤلاء عام ١٩٨١ .

كذلك هناك لغة اسمها "مينومونى" التى يتحدث بها الناس فى شمالى شرقى ولاية "ويسكونسين "حيث لم يتبق من المتحدثين بها سوى ٣٥ شخصاً.

غير أن الصورة ليست بهذه القتامة حيث يتم إحياء بعض اللغات شبه المنقرضة كلغة اسمها "ليفونيان" يجرى التحدث بها فى "لاتفيا"من خلال جهد

شيابى وباستخدام الشعر. وكذلك لغات شعوب الأنديز فى أمريكا الجنوبية التى كونوا لهم إمبراطورية خلال أكثر من ٣٠٠ سنة نسبت إلى مؤسسها "إنكا" الذى بلغت الإمبراطورية فى عهده ذروتها.ورغم وصول الأسبان إلى أمريكا الجنوبية واحتلالهم لها نحو ٣٠٠ سنة قبل أن يتحقق استقلال تلد الدول، إلا أن شعب الإنكا استطاع الحفاظ على لغته المعروفة باسم " الكوشية " وظل محافظا عليها حتى فرضها كلغة رسمية إلى جانب اللغة الأسبانية التى تمثل اللغة الأولى فى دول أمريكا اللاتينية التى احتلها الإسبان.

وغير ذلك هناك لغات لم يتم اكتشافها إلا مؤخرا مثل لغة "الإندى" التى لم تعرف إلا حين اكتشف أحد الصحفيين مجموعة صغيرة من المتحدثين بها على الحدود بين بيرو وإكوادور عام ٢٠٠٠ .

وقد لايعرف الكثيرون أن اللغة العربية تمثل رابع لغة انتشارا فى العالم. وإذا كان عدد سكان العالم وصلوا ٦,٧ مليار نسمة فإن ١٣,٢٢ ٪ من هذا العالم يتحدثون لغة " الماندرين " وهى لغة جاءت أكثريتها بسبب لأنها لغة الصين بما تضمه من الأغلبية السكانية.

ويلى لغة "الماندرين " اللغة الإسبانية التى يتحدث بها ٨٨,٤ ٪ من سكان العالم، وبعد الإسبانية تأتى اللغة الإنجليزية التى يتحدث بها ٤,٨٦ ٪ من العالم، ثم اللغة العربية (٣,١٢٪) فاللغة الهندية (٢,٧٤٪).

فاللغة البرتغالية فى المركز السادس (٢,٦٩٪) فلغة البنجابى (٢,٥٩٪) ثم اللغة الروسية (٢,٢ من سكان العالم) ثم اللغة اليابانية (١,٨٥٪) وفى المركز العاشر اللغة الألمانية (١,٤٤٪) وبعد ذلك فى المركز الحادى عشر فى قائمة اللغات التى يتحدث بها أكثر من واحد فى المائة من سكان العالم حيث يتحدث الفرنسية (١,٢٪) مع ملاحظة أن عدد الشعوب فى العالم ٢٦٥ شعبًا.

الحياة بعد المائة

كانت من عادة الملكة إليزابيث ملكة إنجلترا أن ترسل خطابات تهنئة إلى كل إنجليزى يبلغ سن المائة سنة مشاركة لها فى الاحتفال ببلوغه هذه السن. وقد تولت الملكة إليزابيث عرش بلادها فى ٦ فبرايرعام ١٩٥٢ منذ ٥٨ عامًا إلا أنها ليست أقدم الملوك الأحياء فيسبقها ملك تايلاند "بوميبول " الذى تولى العرش منذ ٩ يونيو ١٩٤٦. لكن الغريب فى ملك تايلاند أنه خلال سنوات حكمه الطويل شهدت بلاده إنقلابات عسكرية عديدة لم تقترب منه، بل على العكس كان الانقلاب الذى لا يباركه يسقط فورًا وينسحب الذين قاموا به.

تعودت إذًا الملكة إليزابيث الاحتفال ببلوغ مواطنيها المائة سنة والكتابة إليهم شخصيًا ولكن سنة بعد سنة بدأ العدد يتزايد فكان أن أوقفت الملكة هذه التحية الشخصية بعد أن وجدت أن سن المائة لم تعد سنًا غير عادية وأن الكثيرين أصبحوا يبلغونها. فحتى بداية القرن الماضى كان متوسط العمر فى معظم الدول حوالى ٤٠ سنة. وفى مصر كان متوسط العمر حتى منتصف القرن العشرين نحو ٣٥ سنة نتيجة كثرة عدد وفيات الأطفال من أمراض النزلات المعوية بصورة خاصة والكبار من أمراض الصدر والقلب والضغط والسكر حيث لم يكن هناك علاج معروف ومضمون. كما أودى الرمد والحصبة بعدد آخر كبير من الأطفال، ولكن مع قفزة ظهور المضادات الحيوية وتقدم اكتشافات التشخيص والعلاجات ارتفعت متوسطات الأعمار حتى أصبحت أكثر من سبعين عامًا فى دول كثيرة.

وقد كان لى حظ معرفة الصديق المهندس كمال محمد إسماعيل الذى أشرف على التوسعات الضخمة التى جرت فى الحرم النبوى بالمدينة المنورة ثم الحرم المكى. وقد توفى فى عام ٢٠٠٨ قبل نحو شهر من بلوغه سن المائة. كما توفيت فى أمريكا "مارى جوزفين راى" عن ١١٤ سنة و٢٩٤ يوما والتى كانت تعتبر أكبر شخص معمر فى أمريكا من الجنسين فهى من مواليد ١٧ مايو عام ١٨٩٥ فى كندا لكنها انتقلت إلى أمريكا فى سن الثالثة. وقد ظلت "مارى" تنعم بحياتها وتمارس نشاطها الذى تعودته فى دار المسنين التى تقيم بها حتى أسبوعين قبل وفاتها. وقالت حفيدتها الكبرى أنها لم تفكر أبدا فى الموت بل إنها كانت تخطط للاحتفال بعيد ميلادها القادم الذى كان بعد نحو شهرين من وفاتها وقد فكرت طويلاً فى المدعوين الذين يمكن أن تدعوهم لحفلة عيد ميلادها الذى لم ير النور!

ورغم تدهور حالتها إلا أنها تمكنت من الإدلاء بحديث صحفى إلى محرر الصحيفة التى تصدر فى بلدتها كشفت فيه أن زوجها توفى عام ١٩٦٧ وأنه يعيش لها (وقت الإدلاء بالحديث) ابنان وثمانية أحفاد و١٣ من أولاد أحفادها وخمسة من أولاد أحفاد أحفادها

وتعتبر "مارى" أكثر المعمرين (رجالا ونساء) الذين عاشوا فى أمريكا وثانى أكبر معمر فى العالم بعد اليابانية "كاما شينين" التى يبلغ عمرها ١١٤ سنة و٣٢٠ يوما. وبوفاة "راى" فقد أصبح أكبر المعمرين الأحياء فى أمريكا اليوم "نيفا موريس" التى تبلغ ١١٤ سنة و٢٣٠ يوما.

أما أطول معمر عاش فى العالم حسب تسجيل جمعية المعمرين فهى "جين كالمينت" من فرنسا التى ولدت عام ١٨٧٥ وماتت عام ١٩٩٧ عن ١٢٢ سنة و١٦٤ يومًا. والملاحظ رغم ما تمر به المرأة من تغيرات نتيجة الحمل والوضع أنها تتفوق دائما على الرجل فى طول العمر.. ففى العادة تزيد المرأة على الرجل نحو سنتين فى هذا المتوسط ربما لأن معظم الذين يموتون فى الحروب التى تجرى من

الرجال مما يؤثر على متوسطات عمر الرجال. ولكن يقابل ذلك أن شكل الرجل المعمر يكون اكثر "شبابا " عن المرأة فى نفس السن!

ولو صحت الأبحاث التى تجرى اليوم وتمكن العلم من تحقيق الاختراق الذى يحلم بتحقيقه والتوصل إلى وسيلة كشف مبكر للسرطانات وعلاج حاسم لها ولأمراض الباركنسون والزهايمر فمن المحتمل أن يؤدى ذلك إلى قفزة كبيرة فى متوسطات الأعمار، وأهم منها قدرة الإنسان مع طول عمره على الاستمتاع بآخر قطرة من كأس الحياة دون ان يصاب بالعجز وفقدان الذاكرة والشلل الرعاش الذى يجعله أشبه بلمبة قوة مائة شمعة وأسلاكها محترقة !

كم يطول عمرك ؟

هل يسعد الإنسان معرفة عمره؟ من المفروض أن يمتد العمر بالإنسان إلى ١١٠ سنوات.. هذا إذا لم يتعرض لحادث قدرى من آلاف الحوادث التى تقع يوميًا، والتى لا تفرق بين صغير وكبير.. وفى دراسة لمجلة «فوكس» البريطانية عرض خبراء المجلة ٢٠ سؤالا حددت لكل منها درجة من حصيلتها يمكن حساب احتمال طول العمر على الوجه التالى:

١ ـ الجنس: ذكر (- ٣ درجات.. (أنثى (+ ٤ درجات)

٢ ـ أجدادك: كم عاش منهم حتى سن ٧٥ فأكثر: ثلاثة (+ درجة..(اثنان (+ نصف درجة..(ولا واحد (- ٢ درجة)

٣ ـ الأبوان: تجاوزا أو تجاوز أحدهما سن ٧٥ :الاثنان (+١) ·· ولا واحد (-٢).

٤ ـ هل عانى أبواك أو إخوتك من أمراض القلب أو من أزمة قلبية قبل سن ٦٠؟: لا أحد (+ ٢..(واحد فقط (-٢..(اثنان فأكثر (-٣).

٥ ـ هل عانى أبواك أو اخوتك من سكر بدأ فى الصغر؟: لا (صفر) نعم (-١).

٦ ـ السرطان.. هل عانى منه أحد الوالدين أو الأخوة؟: لا (+ نصف درجة) نعم (- درجة)

٧. هل أنت خريج جامعة؟: نعم (+ درجة..(لا (صفر).

٨ ـ أين تسكن؟: فى المدينة (-٢..(فى الريف (+ ٢).

٩ ـ علاقتك بالتدخين: اكثر من علبتين يوميًا (-٨..(أقل من علبتين (-٦..(أقلعت حديثًا (+ ١).. أقلعت منذ خمس سنوات (+ ٢..(لم تدخن (+ ٣).

١٠ ـ الخمور: تتعاطى بكميات محدودة (صفر..(بكميات كبيرة (-٨).. لا تشرب (+ ١).

١١ ـ المواد الدهنية: تأكلها قليلاً (+ ٢).. بكميات متوسطة (صفر).. بكميات كبيرة (-٣).

١٢ ـ وزنك تبعًا لجدول الأوزان: طبيعى (+ ٢).. زائد ٢٥٪ (صفر) أكثر من ٢٥٪ (-٢).

١٣ ـ ضغط الدم: ١٢٠/ ٨٠ (صفر).. أعلى ويمكن ضبطه بالأدوية (-١).. أعلى ولا تستطيع ضبطه (-٦).

١٤ ـ الكولسترول فى الدم: أقل من نصف (+ ١)٠٠ من نصف إلى ٥,٦ (-١).. أكثر من ٥,٦ (-٢) أكثر من ٨,٧ ـ-٣).

١٥ ـ هل حررت لك مخالفة فى آخر سنة لتجاوز السرعة؟: نعم (-١).. لا (صفر).

١٦ ـ هل تأكل الفاكهة والخضراوات يوميًا؟: نعم (+ ١).. لا (صفر).

١٧ ـ هل تمارس الرياضة؟: نعم ٣٠ دقيقة يوميا ٥ مرات أسبوعيا (+ ٢).. حوالى ٢٠ دقيقة ٣ مرات أسبوعيا (+ ٢).. لا أمارسها (-٣).

١٨ ـ هل أنت متزوج؟: نعم (+ ٢).. لا (-٢).

١٩ ـ يسهل استفزازك: نعم (+ ٢).. لا (-٢).

٢٠ ـ تتناول المخدرات: إطلاقًا (+١).. أحيانًا.. (-١).. كثيرا (-٣):

والآن إليك النتيجة: اكتب رقم ٧٦ ثم أضف ما حصلت عليه بالزائد من درجات ثم اطرح ما حصلت عليه بالناقص تصل إلى العمر المتوقع.. علما بأن العمر سر لا يعرفه إلا الله.

استراتيجية الحرب

قدم الأستاذ محمد حسنين هيكل ضمن أحاديثه التليفزيونية فى قناة الجزيرة التى يعلق فيها على قضايا الأمة العربية وفى مقدمتها الحرب فى العراق.. قدم بدون قصد وهو يتحدث عن أخطاء الولايات المتحدة فى الحرب التى قامت بها فى العراق، أهم أسباب الهزيمة المروعة التى انتهت إليها حرب يونيو ١٩٦٧ والتى تعد أفدح عمل فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى الذى نتج عنه كل التغيرات التى حدثت بعد ذلك ومازالت تحدث حتى اليوم رغم حرب اكتوبر ٧٣.

مما قاله الأستاذ هيكل : إن الحرب ليست، كما يتصور البعض، أفرادا يحملون السلاح ويوجهون نيرانه وإنما الحرب قبل ذلك" قضية"، وأنه كما شرح القائد الانكليزى فيلد مارشال مونتجومرى بطل معركة العلمين فى صحراء مصر الغربية عام ١٩٤٢ (وهى المعركة التى هزم فيها القائد الألمانى المارشال الألمانى روميل ومنعه من دخول مصر وتحقيق خطة هتلر فى الوصول إلى إيران لمحاصرة الاتحاد السوفييتى).. قال مونتجومرى الخبير فى شئون الحرب) بالمناسبة قابلت مونتوجومرى شخصيا فى مقر سكنه على مسافة ٥٠ ميلاً من لندن وأجريت معه حديثًا نشر فى الأهرام بمناسبة زيارته للقاهرة فى أبريل / مايو ١٩٦٧ بمناسبة مرور ربع قرن على معركة العلمين) قال الأستاذ هيكل على لسان القائد الإنجليزى الشهير : إن أول عنصر من عناصر الحرب هو أن يكون لدى القائد السياسى الذى يتطلع إلى الحرب هدفًا واضحًا ومحددًا، وأن يكون فى متناول

هذا الهدف وسائله الاقتصادية والعسكرية والسياسية، وأن يكون لدى القائد السياسى القدرة على إعطاء هذا الهدف الواضح إلى قيادته العسكرية لكى تعد الخطط العسكرية اللازمة لتحويله إلى نصر..

يضيف هيكل - مع ملاحظة أنه يتحدث عن أخطاء الإدارة الأمريكية فى العراق وتعريتها - إنه فى الحرب العالمية الثانية كتب ونستون تشرشل لقواده العسكريين فى ذلك الوقت جملة واحدة تحدد الهدف الاستراتيجى المطلوب منهم فى تلك الحرب ضد هتلر وهى : منع هتلر من السيطرة على أوروبا. أما بالنسبة إلى العراق يضيف الأستاذ هيكل فلم يكن الهدف واضحا تماما.. كما اخطأت الإدارة الأمريكية من قبل وأرسلت قواتها إلى فيتنام دون هدف واضح.. وكانت النتيجة غرق أمريكا فى فيتنام.

السؤال هو: إذا تركنا العراق وفيتنام وأمريكا وعدنا إلى ٦٧ وهى الحدث المحورى الذى أثر فى تاريخ الصراع مع إسرائيل حتى اليوم نتيجة تمكن إسرائيل فى خلال أيام بل ساعات فى يونيو ٦٧ من احتلال كل سيناء والضفة الغربية والجولان وتحقيق ما لم تكن تحلم به. وإذا طبقنا المقاييس الضرورية التى أشار إليها الأستاذ هيكل لإشعال أى حرب، فهل كان لدى عبد الناصر فى ٦٧ هدفًا واضحًا محددًا يريد تحقيقه من حشد قواته فى سيناء؟، وهل قام عبد الناصر بتسليم هذا الهدف الواضح المحدد إلى القيادات العسكرية لتعد الخطط التى تحوله إلى نصر؟، وهل حدد لهم كما فعل تشرشل مع قادته «منع هتلر من السيطرة على أوروبا» وكما فعل السادات فى حرب ٧٣ «كسر نظرية الأمن الإسرائيلى»؟.. هل حدد لهم عبد الناصر هدفه الاستراتيجى؟

ونحن نتحدث عن أخطاء الآخرين علينا أن نعترف بأخطائنا أيضًا !

البترول الصناعى

أدى إغلاق قناة السويس خلال حرب ١٩٥٦ إلى تنشيط عمليات البحث عن البترول غرب القناة مما أدى إلى اكتشافه وإنتاجه فى ليبيا والجزائر. وفى حرب ١٩٦٧ كان من نتائج إغلاق القناة لفترة ثمانى سنوات، تصنيع الناقلات العملاقة التى وصلت حمولتها إلى نصف مليون طن لتخفيض تكلفة الدوران حول رأس القارة الأفريقية، وأيضًا تكثيف البحث فى بحر الشمال، مما كان من نتيجته اكتشاف البترول ووضع عدد من الدول الأوروبية فى قائمة المنتجين للبترول.

وفى حرب ١٩٧٣ وأثر القفزة التى حدثت فى أسعار البترول وحالة الجنون التى سادت العالم، واجه المستهلكون هذه الزيادة بتقليص الاستهلاك ووقف إنتاج السيارات الفارهة التى كانت الشركات تتجه إلى إنتاجها فى زمن البترول الرخيص، وتوجيه مراكز البحث للتوصل إلى وسائل جديدة لإنتاج الطاقة.

وقد أمكن بالفعل تطوير صناعة السيارات والتوصل إلى سيارات تعمل بالغاز وأخرى بالكهرباء وثالثة تعمل بالكهرباء والبنزين معًا بحيث تستخدم الكهرباء فى شوارع المدن المزحمة التى تتطلب السرعة البطيئة ويستخدم البنزين فى طرق السفر التى تحتاج إلى السرعة الزائدة.

وهكذا فإنه فى كل أزمة واجهت البترول كانت هناك إضافة جديدة حققتها شركات الإنتاج وتصنيع الناقلات والسيارات.. ورغم أن أسعار البترول وصلت فى بعض الأوقات إلى ١٠٠ دولار للبرميل ثم انخفضت فإن هناك من يقولون: إنه

بحساب القيمة الحقيقية للدولار مقارنة بما كان عليه السعر فى عام ١٩٧٣ (نحو ثلاثة دولارات للبرميل) فإن أسعار البترول حاليًا أقل..

إن التحدى الذى يواجهه منتجو البترول هو ماذا بعد أن ينفد البترول من العالم وكل الدلائل تشير إلى أن أرقام المخزون الاحتياطى فى باطن الأرض تكاد تغطى احتياجات ١٠٠ سنة مقبلة، وإن دولاً منتجة للبترول سوف تخرج خلال هذا القرن من سوق البترول، إلا إذا حدثت معجزة وتضاعف اكتشافاتها واحتياطياتها وهو يبدو صعبًا جدًا.. بالإضافة إلى ذلك فإنه إذا أمكن تعويض استخدام البترول كطاقة (من أكبر مجالات البدائل التى يتجه إليها البحث تحويل الهيدروجين إلى طاقة)، تبقى للبترول استخداماته التى ينفرد بها فى صناعات البتروكيماويات ولا منافس للبترول فيها فى الوقت الذى لا يستطيع فيه العالم الاستغناء عن تلك البتروكيماويات التى يعتمد عليها بصورة لا غنى له عنها وإلا هل يمكن تصور العالم بلا بويات أو بلاستيك؟!

وآخر ما تفتقت عنه عبقرية الباحثين هو تصنيع البترول. فإذا كان المعروف أن البترول أصلا عبارة عن مليارات الفطريات والأعشاب والكائنات التى تراكمت فوقها طبقات وطبقات ضغطت عليها حقبة طويلة من الزمن امتدت إلى ملايين السنين حتى تحولت إلى سائل البترول، فإن المحاولة العلمية اليوم هى فى الواقع «صناعة الزمن».. إدخال كميات كبيرة من الفطريات والكائنات الدقيقة التى كانت عليه وتعريضها لضغوط صناعية تحل مكان الضغوط التى صنعتها ملايين السنين حتى حولت الفطريات إلى بترول. هذه هى الطريقة التى يحاولها العلم للتوصل إلى بترول طبيعى صناعى فى عشرات الساعات بدلا من ملايين السنين !

المشكلة فى الصحيفة بعد القراءة

عدتُ من زيارة لأمريكا وأنا أكثر يقينًا بأن صناعة الصحف لن تستمر طويلاً فى الصدور ورقية، وأنها فى وقت قريب سوف تتحول، على الأقل فى العالم الغربى، إلى إلكترونية. معظم الصحف وأشهرها صحيفة نيويورك تايمز فى أزمات مالية بسبب زيادة مصروفات المهنة وتكاليفها، وزادت عليها الأزمة الاقتصادية التى خفضت الكعكة الإعلانية التى تعيش عليها كل موارد الميديا من صحافة وتليفزيون وإذاعة وأخيرًا إنترنت. ورق الصحف تكاليفه عالية، والورق لا ينتج من أجل الصحف وإنما من أجل آلاف الاستخدامات الأخرى، اعتبارًا من ورق إصدار البنكنوت إلى ورق أكياس التعبئة التى قررت جمعيات الحفاظ على البيئة نشر استخدامها بدلاً من أكياس البلاستيك، وهو مادة مستخرجة من البترول (الاسم العلمى لها البولى إيثلين) وقد تبين بعد سنوات من استخدامها خطورتها على صحة الإنسان، خصوصًا فى استخدامها لتعبئة الخبز والوجبات الغذائية الساخنة، حيث تتفاعل المادة البلاستيكية مع هذه الأطعمة وتطلق مادة اسمها «الديوكسين» نسب إليها التسبب فى السرطان. وغير ذلك عشرات الأضرار التى تحدث من ملايين هذه الأكياس سواء عند تجمعها فى المناطق الساحلية وما تسببه من أخطار على البيئة والكائنات البحرية أو عند احتراقها وانبعاث أكاسيد الكلور والكربون منها، أو عند دفنها فى الأرض وتشكيلها طبقة عازلة تفصل التربة وتمنع وصول مياه الأمطار إلى الجزء السفلى من التربة، أو عند تطايرها وانتشارها وقيام المواشى بأكلها أثناء الرعى، مما يصيبها بأمراض

قد يؤدى بعضها إلى الوفاة. لكل ذلك وغيره ارتفع شعار تجده منتشرًا اليوم فى كثير من المحال: قل لا.. لكيس البلاستيك!

على أن أهم مشكلة أصبحت تواجه قارئ الصحف فى الغرب هى كيفية التخلص منها بعد قراءتها.. وفى بلد مثل بالو آلتو التى يسكنها نحو ٥٠ ألفًا وتقع على مسافة ٤٠ كيلومترا جنوب سان فرانسيسكو وتشتهر بوجود «سليكون فالى»، حيث مقار أكبر شركات التكنولوجيا: مايكروسوفت وجوجل واتش بى وانتيل وكذلك جامعة ستانفورد أحد أكبر خمس جامعات فى العالم.. فإن كل بيت لديه ثلاثة صناديق مختلفة الألوان للقمامة، وهى صناديق يصرفها مجلس المدينة للسكان وعلى كل ساكن أن يضع فى كل صندوق، حسب لونه، القمامة ويضعها أمام بيته فى اليوم المحدد الذى تمر فيه سيارات البلدية لتفريغها مرة واحدة فى الأسبوع، فهناك صندوق للمخلفات التى يعاد استخدامها مثل البلاستيك والزجاج والورق، وصندوق للمخلفات الزراعية التى تخرج من الحدائق المنتشرة فى كل بيت، وصندوق للمخلفات الأخرى مع ملاحظة أن مخلفات الأطعمة لا تلقى فى القمامة وانما فى أحواض البيوت المزودة بمطاحن تتولى طحنها وتحويلها إلى سائل يذهب إلى مياه الصرف. ولما كانت الصحف تستهلك مساحات كبيرة من صناديق القمامة، فإنها أصبحت مشكلة.. وهناك بيوت بالفعل أصبحت تهرب من شراء الصحف وتتجه إلى الإنترنت.. ولولا الكوبونات التى تنشرها الصحف خاصة فى أعداد آخر الأسبوع وتمنح من يتقدم بها إلى عدد من المحال خصمًا فى الشراء لعدل كثيرون عن شراء الصحف. ولذلك لا أستبعد أن تنتقل صناعة الصحف خلال السنوات المقبلة إلى صحف مقروءة، لا يحتاج التخلص منها إلى صناديق قمامة، ولا يحتاج تخزينها إلى مساحات كبيرة لم يعد لها مكان فى البيوت.

المؤخرة الكبيرة صحية !

فى وقت من الأوقات كانت أنوثة المرأة فى مصر فى بدانتها "ولظلظة " أذرعتها،وكان من أوصاف المرأة فى ذلك الوقت قولهم إنها عندما تضع قدمها على سلم "عربة الحنطور" التى كانت الوسيلة الرئيسية للمواصلات فإن جانب الحنطور يميل مع بدانتها !

تغير ذلك وأصبحت الرشاقة من مواصفات الجمال والصحة، ونتيجة لذلك راجت بصورة كبيرة وصفات الريجيم للتخسيس وظهرت مئات الأنواع من الريجيم مما يؤكد أنه ليست هناك وسيلة، مؤكدة وإن كان الصحيح أن كل إنسان أدرى بجسمه واحتياجاته، وأن مايقوم به الذى يتولى وصف الريجيم متابعة الحالة وتشجيعها. وبصرف النظر فقد أصبح ينظر إلى المرأة البدينة كحالة مرضية تسعى لعلاج نفسها، بينما لاحظ كثيرون أن الرجل البدين أو المرأة البدينة يكونا عادة من أصحاب الدم الخفيف المرح لدرجة الربط بين زيادة الوزن وخفة الدم !

الجديد الذى توصل علماء من جامعة إكسفورد إليه حقيقة تبدو غريبة وهى أن "المؤخرة والأوراك والأفخاذ السمينة " تحمى من أمراض القلب،وأن الدهون المتواجدة فى الوركين تساعد على التخلص من الأحماض الدهنية الضارة وتحتوى على مواد مضادة للالتهابات، مما يوقف انسداد الشرايين.

وأكدت الدراسة التى أجراها فريق علمى من نفس الجامعة (أكسفورد) أن المؤخرة الكبيرة هى الأكثر تفضيلاً للدهون الزائدة المتواجدة حول الوسط، مما

يوفر المزيد من الحماية.وأن العلماء لهذا السبب ربما يسعون مستقبلاً لزيادة الدهون فى الوركين.

ويضيف الباحثون أن الأطباء ربما يعطون فى المستقبل وصفات لإعادة توزيع الدهون إلى الوركين للحماية ضد السكرى وأمراض القلب والشرايين. وينهى رئيس مجموعة البحث تصريحاته بقوله إن "الدهون حول الوركين والفخذين مفيدة، لكنها مضرة حول البطن".

تكنولوجيا التجميل

بدأت عمليات التجميل الجراحية أول ما بدأت لمعالجة التشوهات التى تصيب وجه من يتعرض لحادث سيارة أو حريق.. فكانت عمليات التجميل محاولة لإصلاح بعض ما أفسدته هذه الحوادث، ولذلك كان كثيرًا ما يستدعى خبراء التجميل ليكونوا حاضرين جاهزين فى غرف العمليات أثناء نقل ضحايا الحوادث.

وقد كانت مصر أول دولة فى الشرق الأوسط تجرى فيها أول عملية تجميل وكان ذلك عام ١٩٥١.. وربما كان من أوائل الذين أجروا هذه العمليات الراحل الدكتور نادر سويلم الذى تعرفت عليه خلال فترة عضويتى النشطة فى نادى روتارى القاهرة فى سنوات السبعينيات من القرن الماضى، وعرفت منه أن من أهم المجالات التى يجب أن يبرع فيها مجال كسور والتحامات الوجه.

ولكن منذ الثمانينيات دخلت عمليات التجميل مرحلة جديدة عندما ظهرت فكرة إزالة الشحوم والدهون الزائدة، فى أجسام النساء بوجه خاص، بواسطة العمليات الجراحية، ثم انتقلت بعد ذلك عمليات التجميل إلى مرحلة جديدة ظهرت مع استخدام مواد مصنوعة من البلاستيك يمكن حقنها فى الخدود وفى الشفاه وفى الصدور الصغيرة للنساء وهى كما ترى بعض أماكن الإغراء للمرأة.

ثم ظهرت عملية تجميل أخرى للرجل والمرأة أصبحت مشهورة باسم «شد الوجه» وكان الفنان الراحل محمد عبد الوهاب من أوائل الذين كانوا يجرون هذه

العمليات ويحسنون اختيار الجراحين العالميين الذين يجرونها مما جعله يحافظ على مظهر وجهه خاليا من التجاعيد.

وفى بداية انتقال الفنان عمر الشريف من المصرية إلى العالمية فإنه استسلم لجراح التجميل لإزالة حسنة كبيرة فى وجهه رأى مخرج فيلم د. زيفاجو أنها تتعارض مع شخصية زيفاجو التى قام بها عمر الشريف.

وإذا كان المقصود من عمليات التجميل أن تكون وسيلة لتجميل وجوه من يجرون هذه العمليات فإن بعض الذين أجروها بالغوا فيها إلى درجة شوهت وجوههم.

ومن أشهر هؤلاء المغنى الأمريكى العالمى مايكل جاكسون الذى أجرى أكثر من عملية تجميل فى وجهه بصورة عامة وأنفه بصورة خاصة.. وهناك الفنانة صباح التى كانت من أوائل الفنانات اللاتى أدمنّ عمليات شد الوجه حتى تحول وجهها إلى قناع مشدود يكشف لكل من ينظر إليه أنه وجه غير طبيعى.

وبصورة عامة فقد أصبحت عمليات التجميل سوقًا رائجة لكثير من الفنانات اللاتى اسأن الاختيار فالفنانة صفية العمرى اكتنزت شفتاها بصورة جعلت الكلمات، التى تنطق بها تهرب منها. ونانسى عجرم أجرت عمليات تجميل عدة منها عملية حقن فى الخدود وحقن فى الشفتين وفى ساقيها، ونادية الجندى أجرت عملية شد زائد فى عضلات وجهها فى محاولة لإعادة الزمن، إلا ان الذين يرونها وهى تضحك يقولون إن عمرها الحقيقى سرعان ما ينكشف.

ويبدو أن عمليات التجميل لن تقتصر على الفنانين، وإنما ستمتد إلى نجوم السياسة ورجال الأعمال، لتنضم إلى قافلة صبغات الشعر وزراعته والعدسات اللاصقة والرموش الصناعية ليصبح الانسان صناعة حديثة وتكنولوجية!

حكمة الزلازل

لماذا تقع الزلازل؟ من الناحية العلمية فالإجابة معروفة ففى جوف الأرض طاقة مختزنة فى الصخور تتعرض لما يشبه تقلص العضلات لدى الإنسان فتتحرر من هذا التقلص فى شكل موجات تنتقل إلى سطح الأرض، وتهز هذا السطح بما حمل فوقه من مبان ومنشآت.. وبحسب قوة هذه الموجات وسرعتها تختلف آثار الزلزال التدميرية.. وفى كل يوم تسجل أجهزة الرصد وقوع مئات الزلازل التى يصل إجمالها فى السنة إلى ما لا يقل عن مليون زلزال ولكن لأنها بسيطة فلا أحد يشعر بها، أما إذا زادت كانت الكوارث والمصائب كما حدث فى زلزال مدينة (بام) الإيرانية الذى قضى على أكثر من سبعين فى المائة من مبانى المدينة وقتل نحو ٤٠ ألفا وشرد ضعف هذا العدد!

وقع الزلزال فى حوالى الخامسة والنصف صباحًا فى وقت كان الجميع فيه تقريبًا نيامًا، ولذلك لم يكن للبشر إرادة فيما جرى.. فلم تكن شطارة الذى عاش ولاخيابة الذى مات، وإنما هى الإرادة الإلهية والأجل المكتوب.

ولكن لماذا - إنسانيًا وليس علميًا - تقع الزلازل؟ إن المدينة تحولت فى لحظات إلى مقبرة جماعية لمن كانوا يغطون فى النوم.. والذين كتبت لهم الحياة فوجئوا بالمشهد الرهيب الذى وجدوا أنفسهم فيه.. فالأب بدون أبنائه، والابن بدون أبيه، والزوج لايعرف زوجته، والزوجة لاتدرى أين أهلها، والأحياء جميعًا تمزقهم سياط البرد القارس وحلم كل منهم أصبح فى لحظة أن ينزوى تحت قطعة قماش!

كان المشهد مؤثرًا وحزينًا.. وكثيرون من الذين التحفوا بالبطاطين والأغطية لابد أنهم تذكروا ولو للحظة هؤلاء الذين تقوقعوا حول أنفسهم لايجدون سوى بعضهم يغطون به بعضهم!

لقد استشعرت الإنسانية المأساة، وتسابقت الدول لتقديم المعونات، وأعلنت إيران قبولها مساعدات كل الدول فيما عدا إسرائيل، ولأول مرة منذ عام ١٩٨٠ عندما قطعت العلاقات الدبلوماسية بين طهران وواشنطن هبطت فى إيران أول طائرة أمريكية تحمل المعونات لضحايا الزلزال كما أرسلت بغداد بعثة طبية وكانت مساعدات مصر لمنكوبى الزلزال أول رسالة مصرية تصل إلى إيران منذ ساءت العلاقات.. لقد توحدت القلوب والمشاعر..وبدا أن الزلزال لم يدمر فقط وإنما بنى أيضًا علاقات إنسانية !

الحياة من وراء نقاب

من الأعمال التى درجت عليها الصحافة معايشة الصحفى للواقع والتسجيل عنه. وقد كان من بين التحقيقات التى استخدمت فيها هذا الأسلوب عندما كنت فى مجلة آخرساعة عام ١٩٥٥ وأحضرت ممثلة ناشئة وأجرينا لها الماكياج الذى حولها إلى متسولة بعد أن ارتدت طبعًا ملابس فقيرة. وذهبنا بها (المصور وأنا) إلى ساحة الحسين، ومن نافذة الفندق المطل على الساحة قام المصور بكاميراته المزودة بعدسات التقريب بتصوير المحسنين إلى السيدة الفقيرة. كان الغرض من الموضوع إثبات أن التسول هو أكثر الوسائل تحقيقًا للمكسب وبالفعل فقد حصلت المتسولة المزيفة على مبلغ كبير بالمقارنة لذلك الوقت عام ١٩٥٥ ولولا أن ظهر لها فتوات المنطقة الذين يسيطرون على الساحة وزاحمتهم متسولة غريبة لاستطاعت أن تجنى أضعاف ماحصلته لكننا خشينا من افتضاح أمرها فأشرنا إليها بالانسحاب المنظم إلى موقع السيارة المنتظرة.

وقد اشتهر فى وسائل التنكر الصحفى عبد العاطى حامد من أخبار اليوم، وقد برع فى التنكر شخصيًا فى شخصيات المنادى وبائع الورد والمنادى وغير ذلك من الأعمال.

لكن الذى سبقنا فى ذلك الأستاذ الكبير مصطفى أمين الذى جاء بفتاة من قاع الشعب وحقق المثل الذى يقول " لبس البوصة تبقى عروسة " وقد تعهدوها بتعليم الإتيكيت وقدموها للمجتمع كفتاة مصرية من أسرة ثرية هاجرت قبل

سنوات وعادت إلى وطنها ومعها ثروتها الكبيرة، وقد استقبلها المجتمع بترحيب شديد وأصبحت المدعوة الدائمة فى حفلاته. وأظن أن الفكرة مقتبسة فى الأصل من مسرحية سيدتى الجميلة التى كتبها "آلان ج.ليرنر " (١٩١٨ - ١٩٨٦) وتحولت فى الخمسينيات من القرن الماضى إلى مسرحية موسيقية حققت نجاحًا كبيرًا، ثم إلى فيلم سينمائى، وجرى اقتباسها فى مصر فى مسرحية شهيرة لفؤاد المهندس وشويكار وهى عن فتاة أمية نشالة تسكن فى حى فقير ويلتقطها أحد المدرسين ويعلمها ويقدمها كسيدة من سيدات المجتمع الأثرياء ويسجل كيف أحاط بها الذين طمعوا فى أموالها قبل جمالها.

تذكرت ذلك وأنا أقرأ عن محاولة لا تختلف فى فرنسا التى شهدت حوارات المسلمين العديدة حول النقاب، فكان أن قررت فرنسية أن تمارس التجربة وتعيش شهرًا كاملاً وهى ترتدى النقاب وتتجول به فى مختلف أركان فرنسا. الفرنسية هى الفنانة التشكيلية "بيرجير لوفرانس " التى تجولت بالحجاب فى شوارع باريس مدة شهر وسجلت تجربتها فى كتاب وضعت عنوانًا له " حجاب فى شهر يونيو ". وكلمة الحجاب التى استخدمتها الفرنسية لا تقصد بها الحجاب التقليدى الذى تغطى به الفتاة شعرها، وإنما الحجاب الذى يفصلها عن الناس وعن الآخرين وهو النقاب.

تبلغ الكاتبة صاحبة التجربة أربعين عامًا، وبالتالى فهى سن تبدو متناغمة مع تجربة إخفاء مفاتنها إلا أنها تقول إنها حرصت على تقديم مغامرتها لا لإثبات حقيقة معينة بقدر ما كانت تريد خوض تجربة مختلفة أو تحد شخصى منفصل عن الخطاب السياسى والجدل الدائر الراهن حول النقاب فى فرنسا. وقد حققت المؤلفة فكرتها فى شهر يونيو الماضى، حين تحجبت بالكامل طوال الشهر، ونزلت إلى الشوارع والأماكن العامة، فاختلطت بالناس وحاولت التواصل معهم، ثم سجلت ملاحظاتها وما صادفته خلال التجربة على شكل يوميات مفصلة.

ويقول مراسل صحيفة الشرق الأوسط الذى كتب عن تجربة الفرنسية إن "بيرجير لوفرانس "فرنسية صميمة، ولا تنتمى إلى عقيدة محددة، ولذلك فإن ما

كتبته لا يعبر عن رأى مسلمة ترتدى النقاب فى بلد أوروبى، وإنما هى انطباعات امرأة تخفى وجهها وتغطى جسمها بالكامل فلا يرى الآخرون أى تعبير من تعبيراتها. ولهذا فإنها كانت مشغولة على حد تعبيرها باستكشاف «الفضاء الإنسانى» مما جعل تجربتها مع النقاب فى سياق تجارب سابقة حول تعبيرات الثياب التى يرتديها الناس. وكانت تخطط لكل فكرة بتسجيلات مصورة بكاميرا صغيرة.

ولمزيد من الترويج للكتاب، وضع الناشر على الغلاف صورة للمؤلفة بالنقاب راكبة دراجة هوائية. كما سمحت "بيرجير لوفرانس" لمصورى الصحف الشعبية بالتقاط صور لها، تبدو فيها بالبرقع الأفغانى وهى تدخن سيجارة من خلال فتحات القماش المشبك الذى يخفى الوجه. وهى تقول إنها حالما نزلت إلى الشارع مرتدية هذا اللباس، فإن كل النظرات توجهت إليها فى محاولة لتعريتها، فأحست بالخوف فى الطريق العام، لأول مرة فى حياتها. وكان هناك من يشير إليها بإصبعه ومن يسمعها عبارات جارحة، وتضيف: «كنت مثل سمكة فى ماء مغلى، وشعرت كأننى معاقة لأننى لا أرى بشكل جيد، وعندما كانت درجة الحرارة تبلغ الثانية والثلاثين فى الشارع فإنها كانت تزيد خمس درجات وراء غطائى».

نختلف أو نتفق ولكن التجربة العملية بلا شك لها أهميتها فى اكتشاف الواقع.

الفن فى حفل أوباما

يلفت النظر فى حفل تنصيب باراك أوباما رئيسا للولايات المتحدة (يناير ٢٠٠٩) مكانة الفن التى احتلها فى برنامج أعد لمناسبة على أعلى درجة تابعتها ملايين بل بلايين الأنظار من كل العالم.. الدول لا تكبر ولا تفاخر فقط بعلومها ومعاهدها وأبحاثها وقوتها العسكرية والاقتصادية، إنما غير ذلك بما تملكه من فنون حقيقية تخاطب بها وجدان الشعوب.. وأمريكا رغم تاريخها الحديث واتصالها بالعالم منذ نحو٦٠ سنة فقط بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أن انتشارها عالميًا لم يقو ويتم إلا من خلال ماقدمته من فنون السينما والموسيقى والرياضة وغير ذلك..

لاعجب أن يأخذ الفن إذًا دوره فى احتفال تنصيب باراك سواء من خلال الأغنية، أو القطع الموسيقية التى قدمها أشهر العازفين فى خلال دقائق معدودة، أومن خلال الشعر الذى ألقته سيدة لا بد أنها شاعرة مشهورة هناك، ولكن الذى يهم حرص منظمو البرنامج على إبراز قيمة الشعر فى مثل هذه الاحتفالات كثقافة وأدب تتربى وتنمو عليها الشعوب.

لفت نظرى أحاسيس الألفة التى جمعت الرؤساء السابقين الذين يختلفون فكريًا ولكنهم توحدوا خلف رئيس شاب جاء بأمر الشعب رغم لونه وعدم انتمائه لكبريات الأسر والعائلات، وجاءوا جميعًا ليقفوا معه فى يوم احتفاله رغم ما أصاب بعضهم من عجز فى الحركة كما كان بوش الأب !

لفتت نظرى الأعداد الكبيرة (قدرت بمليونين) التى تجمعت أمام مبنى الكابيتول فى درجة برودة أقل من الصفر وأعطت الاحتفال طابعه الأسطورى،وقد بدا أنها حشود أمل تنتظره من رئيس جديد أسود سيضىء مستقبلها بعد السواد الشديد الذى خلفه بوش !

لكن أروع مافى هذه الحشود شمخة وسموق المسلة التى توسطت الميدان الكبير وقد بدت علامة من علامات القوة التى تنتسب إلى مبتدع تصميمه منذ أيام الفراعنة. وهذه المسلة حديثة وليست فرعونية، ولكن عواصم كثيرة تقف فيها مسلات مصرية فرعونية تعكس قوتها وبهائها على الميدان الذى تقف فيه فى باريس ولندن وروما وغيرها. بينما مصر صاحبة هذه المسلات وبراءة اختراعها على يد الأجداد ليس فيها ميدان واحد تتوسطه مسلة مصرية فرعونية واحدة،ولعل الصديق الدكتور زاهى حواس ينقذنى من هذا الألم !!

اللعب فى النسل !

منذ بدأت الخليقة كان تنظيم البشر بين ذكر وأنثى بيد الخالق.وكان الملاحظ تحقق التوازن بين الجنسين، وزيادة عدد الذكور على الإناث فى بعض الأوقات لتعويض فاقد الذكور فى الحروب التى يحارب فيها الذكور بنسبة أكبر.

وقد كان العرب فى الجاهلية من أوائل الذين كرهوا إنجاب الإناث، وكان يوم حزن للرجل عندما تلد زوجته أنثى فى الوقت الذى كانت تشعر فيه الزوجة بالجرم لأنها أنجبت أنثى. ولم يكن أحد قد عرف ماكشفه العلم من أن نوع الجنين يعود إلى الزوج، إلا أن كراهية الأنثى كانت تصل إلى حد قيام بعضهم بوأد البنت أى دفنها حية للتخلص منها، إذ كان أصحاب هذه العقيدة الفاسدة يعتبرون إنجاب الأنثى عارًا مع أنه لو فكر قليلاً لوجد أن كل ذكر عندما يصبح شابًا يكون من أهدافه البحث عن أنثى يبدأ معها حياة جديدة لتكوين أسرة والإنجاب وهكذا.أى أن الحياة كى تستمر لابد لها من النوعين.

ورغم ذلك مازال للولد فى دول كثيرة "عزوته" على حساب الأنثى.ومن هذه الدول التى تدين بهذه العقيدة الصين التى تجاوز تعداد سكانها ١٢٠٠ مليون نسمة. وقد وضعت الصين نظامًا لتحديد النسل راعى المولود الذكر وحددت للزوجين اللذين ينجبان ذكرًا ألا ينجبا غيره وإلا تحمل غرامة كبيرة للمولود الثانى،أما إذا كان المولود أنثى فقد سمح القانون للزوجين خصوصا فى الريف إنجاب مولود آخر الأمر الذى أدى بمعظم الأزواج خاصة بعد ظهور أجهزة

الكشف مقدما على جنس الجنين وهو فى الشهور الأولى من الحمل التخلص من الجنين إذا كان أنثى الأمر الذى أدى إلى خلل فى التركيبة السكانية ذكرت الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية أخيراً أنه يعد من أخطر المشكلات السكانية والتى ستكون لها تداعيات اجتماعية فى البلاد. وقالت إن نحو ٢٤ مليون رجل فى سن الزواج قد يجدون انفسهم فى عام ٢٠٢٠ بدون فتيات، بل إن أحد الباحثين قد ذكر إن الرجال فى المناطق الأفقر فى الصين قد يظلون دون زواج طوال حياتهم. وقالت الأكاديمية إنه أصبح شائعًا فى المناطق الريفية بالصين عمليات الإجهاض مما جعل مقابل كل ١٠٠ فتاة تولد فى الصين يولد ١١٩ طفلاً ذكراً، وفى بعض المحافظات يولد ١٣٠ صبيًا مقابل كل ١٠٠ أنثى. ويضيف الباحثون إن الاختلال المتزايد يعنى أن البغاء القسرى والاتجار بالبشر أصبح "متفشيًا" فى بعض أنحاء البلاد.

من معجزات الخالق جعل لكل نوع من الكائنات نوع يعيش على التهامه ومع ذلك يتم تحقيق التوازن الذى يحافظ على النوع. أقرب مثال على ذلك السمكة التى تضع فى كل مرة نحو ١٥٠ مليون بويضة لو أنتجت كلها سمكا وكبرت وأصبحت كل بويضة سمكة تنتج ١٥٠ مليون بويضة وهكذا لغطى السمك سطح الأرض، ولكن يمنع ذلك الأعداد الكبيرة التى تؤكل من الأسماك سواء بواسطة الإنسان أو بواسطة أسماك وحيوانات وطيور أخرى تلتهم بلايين الأسماك !

عملية النسر المزدوج

من الحكايات المثيرة التى جذبت اهتمامى وكنت أتابع قناة التاريخ history channel حكاية العملة الأمريكية الذهبية الخاصة فئة ٢٠ دولارًا التى حملت تصميمًا خاصًا لم يتكرر وأطلق عليها اسم "النسر المزدوج " نظرًا لحمل أحد وجهيه نسرين يطيران معا. وقد سكَّت أمريكا هذه العملة عام ١٩٣٣ وأصدرت منها ٤٤٥٥٠٠ قطعة كانت معدة للنزول إلى الأسواق، ولكن وقبل طرحها للتعامل زادت آثار الأزمة الاقتصادية التى شهدتها أمريكا منذ بداية الثلاثينيات فأوقف الرئيس فرانكلين طرح عملة النسر الذهبى، وأصدر قانونًا يحظر استخدام كل العملات الذهبية التى كانت أساس التعامل فى الأسواق أكثر من أوراق النقد، وتجريم ملكيتها. ولم تكن ثقة المواطنين بالأوراق النقدية أقل من الذهب بالإضافة إلى صعوبة عثور حاملى الذهب على مكان أمين يمكن أن يحتفظوا فيه بعملاتهم الذهبية لو أرادوا،فالتعامل بها محظور وليس هناك بنك أو خزينة، أو جهة تستطيع قبولها، كما أنه ليس هناك شركة تأمين تقبل التأمين ضد السرقة على من يحتفظ بهذه العملات فى بيته، فكان أن توافد على البنوك آلاف المواطنين لاستبدال ما لديهم من عملات ذهبية.

أما العملة الجديدة فئة العشرين دولارًا التى حملت اسم "النسر المزدوج " والتى كانت على وشك النزول للتداول فقد تقرر صهرها كلها باستثناء قطعتين اثنين تقرر إيداعهما معهد سيمثونيان كتاريخ على سبيل التاريخ. وجرت عملية تم التأكد فيها من حصر القطع وصهرها وتحويلها إلى قضبان من الذهب نقلت إلى

"فورت نوكس " حيث خزانة الدولة المحصنة المقامة فى ولاية كنتاكى (حاليا يوجد فيها أكثر من ٤٦٠٠ طن من الذهب،بالإضافة إلى ٥٠٠٠ طن موجودة فى خزينة أخرى تحت الأرض فى مانهاتن بنيويورك إلا أن هذا الذهب فى نيويورك تملكه عدة دول أخرى).

كانت أولى مفاجآت النسر الذهبى عندما أرسلت الحكومة المصرية إلى الخزانة الأمريكية فى عام ١٩٤٤ تطلب إصدار ترخيص للملك فاروق بملكية قطعة من هذه العملة لضمها إلى مجموعة مقتنياته، فقد كان معروفًا أنه من هواة جمع العملات والطوابع. وبسبب ظروف الحرب العالمية الثانية التى كانت الحكومة الأمريكية مشغولة بها فإنها دون تحرى الأجهزة الأمريكية عن كيفية وصول هذه القطعة التى يطلبها فاروق أصدرت ترخيص حملها. إلا أنه عمليًا يقال أن هذه القطعة لم تظهر فى مصر.

وكانت المفاجأة الثانية عندما بلغ أجهزة المباحث الأمريكية بعد خلع فاروق عام ١٩٥٢ ظهور القطعة المختفية المنسوبة لفاروق فى الأسواق الأمريكية، إلا أنها اختفت تمامًا فور محاولة تتبعها. وظلت مختفية ٤٠ سنة إلى أن ظهر تاجر عملات بريطانى اسمه "ستيفان فينتون" عرضها للبيع. وقد نجح رجال المباحث فى التوصل إليه عن طريق وسيط دفعوا به فى عملية البيع، وتم القبض على الجميع أثناء إتمام الصفقة فى فندق "والدورف استوريا" فى نيويورك.

ولم يستسلم "فينتون " فقد أقام دعوى أمام المحكمة دافع فيها عن حقه فى امتلاك النسر الذهبى بطريقة مشروعة مستندًا إلى الترخيص الذى صدر من الحكومة الأمريكية عام ١٩٤٤ . وفى خلال نظر دعواه أمام المحكمة قامت الخزانة الأمريكية بالاحتفاظ بالنسر المزدوج فى خزينة خاصة مؤقته تملكها فى داخل المركز التجارى فى نيويورك.. . وقد تم حسم القضية أمام المحكمة فى شهر يونيو ٢٠٠١، وكان من حظ "ستيفن" الذى قضت المحكمة باقتسامه مع الحكومة الأمريكية حصيلة بيع النسر المزدوج فى مزاد، أن قامت الخزانة الأمريكية قبل

ثلاثة أشهر من تدمير مبنى مركز التجارة بنقل العملة من المخزن الموجود بالمركز إلى خزينة الدولة فى "فورت نوكس ".

وفى ٣٠ يوليو ٢٠٠٢ قامت شركة المزادات الشهيرة ببيع القطعة فى مزاد استغرق تسع دقائق بيعت فيها عملة النسر المزدوج لمشتر لم يعلن عن اسمه دفع فيها أعلى سعر تم دفعه فى أية عملة على مر التاريخ وهو ٦,٦ مليون دولار بالإضافة إلى ١٥ فى المائة عمولة "سوثبى " وبذلك بلغ إجمالى المبلغ المدفوع فى عملة قيمتها ٢٠ دولارا ٧ ملايين و٥٩٠ ألف دولار.

ولكن المفاجآت لم تنتهى ففى سبتمبر ٢٠٠٤ تمكنت أجهزة المباحث الأمريكية من اكتشاف عشر قطع أصلية من النسر المزدوج صادرتها لدى بائع عملات فى فيلادلفيا اسمه "إسرائيل سويت " تبين من فحص تاريخه أنه كان على علاقة مشبوهة بموظف فى دار سك العملات اسمه "جوان ماكين " وكان يعمل أمينًا على حصر وتسليم العملات المسكوكة لصهرها. وبطريقة بالغة الدهاء تمكن من إحضار قطع من عملات مشابهة للنسر الذهبى فى الاستدارة والوزن ووضعها مكان القطع التى اختلسها. إلا أنه بعد وفاة "إسرائيل سويت " تولت إحدى وريثاته وإسمها " جوان لانج بورد " مطالبة الخزينة الأمريكية بنصيبها فى عملات النسر الذهبى التى صادرتها من مورثها. ولم توافق الخزانة الأمريكية على طلب "جوان " التى كان واضحًا أنها تسعى لاستصدار حكم مماثل كالسابق تقتسم فيه حصيلة البيع بالمزاد مع الخزانة الأمريكية. ولكن الخزانة رفضت الطلب فأقامت "جوان " دعوى مازالت معروضة أمام القضاء ولم تحسم بعد فى انتظار تحديد من يملك هذه القطع، المفروض حتى اليوم أنها البقية الباقية من ٥٤٠ ألف قطعة مفروض أنها تحولت إلى سبائك،وكانت مواصفات هذه العملة : أقل قليلاً من ٣٣ ونصف جرام وسمكها ٢ مللى ومكونها ٩٧ ٪ ذهب و٣ ٪ نحاس،ووجهها يحمل سيدة الحرية ليدى ليبرتى lady liberty وعلى الوجه الآخر نسران يطيران معًا بعرض العملة.

لقد أصبح بذلك هناك ١٣ قطعة من "النسر المزدوج " لم يتم صهرها بين الـ ٥٤٠ ألف قطعة التى تحولت إلى سبائك. قطعتان فى معهد سيموثينيان،وقطعة نسبت إلى الملك فاروق وحققت أعلى سعر وحصلت على مشروعيتها، وعشر قطع مصادرة يجرى النضال عليها. وربما كانت هناك قطع أخرى ستكشف عنها الأيام.لكن حذار فقد أصدرت الخزانة الأمريكية نسخًا من النسر الذهبى مصنوعة من النحاس المطلى بالذهب ومختوم كلمة copy على أحد وجهى العملة!

تخلع زوجها بسبب البصارة

طلبت زوجة مصرية الخلع من زوجها بسبب البصارة. اتهمت الزوجة زوجها بالبخل، وأنها بعد ستة أشهر من الزواج فوجئت به يطلب منها طبخ وجبة كبيرة من البصارة كى تكون طعامهما خلال ٣ أيام متواصلة كل أسبوع توفيرًا للنفقات فى ظروف الأزمة الاقتصادية. وقالت الزوجة إنها فى البداية قبلت طلب الزوج، لكنه بعد أن أصر على استمرار هذا النظام وفرضه عليها، وهى التى تعودت على تناول اللحم والدجاج كل يوم فى بيت والديها، فإنها لم تعد قادرة على التحمل وتطلب الخلع!

وطبق البصارة طعام شعبى مصنوع من الفول، ولا يتكلف كثيرًا بسبب خلوه من جميع أنواع اللحوم فى مختلف أشكالها، ولذلك يعتبر من أكلات الفقراء.

وحق الخلع ـ دون الدخول فى المشكلات المختلفة التى قد تحوط به مثل قيمة الصداق، الذى يجب أن ترده الزوجة للزوج، وحرمان الزوج من سكن الزوجية فى حال الخلع ـ هو حق مستمد من الشريعة الإسلامية فى القرآن والسنة التى أعلت حقوق الإنسان، وجعلت أساس العشرة الزوجية للرجل والمرأة المحبة والوئام والاحترام، إلا أن القانون المصرى، وكذلك الأردنى، لم يعمل بحق الخلع إلا منذ سنوات قليلة مع بداية الألفية الثالثة. وقد اتهم الرجال فى ذلك الوقت القانون الجديد بأنه سيخرب البيوت، لأنه يضع مستقبلها فى يد المرأة التى تحكم على الأمور بعواطفها، ويجعلها تطلب الخلع لأى سبب تافه، وأن آلاف النساء سيهرولن

إلى المحاكم لطلب الخلع، وهو ما لم يحدث. إلا أن ذلك لا ينفى أن عددًا كبيرًا من المعارضين، ومن دون أن يفصحوا عن ذلك عارضوه من منطلق إحساسهم فى داخلهم بدونية المرأة، ومنحه الرجل حرية الطلاق لسبب يقدره من دون أن يمنح هذا الحق للطرف الآخر فى شراكة الزوجية.

والزوجة التى تطلب الخلع بسبب بخل الزوج على حق، فالبخل من أسوأ صفات الشخص، ولكن ذلك لا يمنع من التفرقة بين الحرص والبخل.. فالحريص لا يبذر أما البخيل فلا يصرف.. الحريص يدخر لأيام مقبلة صعبة والبخيل يكتنز حبًا فى الاكتناز لا رغبة فى الإدخار. ولذلك، يحب البخيل أن يكتنز فلوسه ويخفيها فى مكان لا يعرفه أحد غيره، ويرى فى اكتنازها المتعة، أما الحريص فيحتفظ بفلوسه فى البنوك لينميها، ولذا، فقد لا يكون صاحب طبق البصارة الذى فرضه على زوجته بخيلاً وإنما حريص، خصوصًا إذا كان دخله محدودًا، ويخشى من المستقبل فى ضوء الظروف الاقتصادية التى يواجهها العالم.. والرأى عندى أن الحرص ليس سببًا مبررًا للخلع، وإنما هو وسيلة يرى الزوج أنها من أجل استمرار الحياة الزوجية فى ظروف صعبة أو متغيرة، وهو ما يقتضى أن يشرك الزوج زوجته فى كيفية مواجهة تلك الظروف، فوفق التجارب فإن الزوجة أكبر مدبر.

الحياة الزوجية مشاركة وتفاهم قبل كل شىء وعندما تفقد ذلك ينهار الأساس الذى تقوم عليه الحياة الزوجية، ويصبح من حق كل من الطرفين تحرير الآخر بعد أن أصبح أحدهما سجينًا والآخر سجانًا.

السينما المصرية تقتحم المقدسات

جرئت السينما المصرية على رئيس الجمهورية ولم يعد صورة عابرة بل بطل لفيلم كامل كما فى فيلم «طباخ الرئيس» الذى قام بدور الرئيس فيه الفنان خالد زكى... ولأداء خالد زكى دور الرئيس بقدر كبير من الاحترام فقد تم السماح بعرض الفيلم رغم صور النقد الشديدة للمجتمع التى حواها الفيلم، ومنها زيارة الرئيس لإحدى القرى ودخوله بيت أحد الفلاحين وحواره معه ومع زوجته ثم اكتشاف أن هذا الفلاح ليس فلاحا حقيقياً وإنما هو ممثل كومبارس جاءوا به ليمثل الدور أمام الرئيس ويقول له أحلى كلام يحب أن يسمعه!

وربما كان أول الأفلام المصرية التى أدخلت الرئيس فى أحداث الفيلم بصورة واضحة فيلم «زيارة السيد الرئيس» الذى يدور حول الرئيس الضيف الذى يزور مصر وسيصحبه رئيس الجمهورية فى جولة بالقطار يتوقف خلالها أمام إحدى البلاد التى تستعد للزيارة المرتقبة وتكشف خلال الاستعداد عن مختلف صور النفاق والغش التى يحاولها مسئولوها حتى تنتهى الزيارة.. فالمهم أن يرى الرئيس صورة جميلة فى الفترة القصيرة التى تحدث فيها الزيارة، ولكن بعد المجهود والسهر وتجمع الأهالى وما جرى ترتيبه من استعدادات وخطب وأناشيد فوجئ اهل البلدة بوصول القطار ومروره عليهم بسرعة بالغة من دون حتى أن يتمهل امام محطة البلدة أو يتنبه راكبه إلى المدينة المنتظرة منذ أيام وليال!

وهناك فيلم ثالث هو «زواج بقرار جمهورى» يحكى قصة الشاب الذى أراد أن يتفاخر أمام زوجته فوجّه الدعوة على سبيل الهزار إلى رئيس الجمهورية لحضور

حفل زفافه ويفاجأ الجميع بأن الرئيس قرر قبول الدعوة وحضور الفرح، وبالطبع تنقلب المحافظة والحى وتتسابق الأجهزة لتجميل الحوارى الضيقة التى يسكن فيها العروسان بسبب حضور الرئيس للفرح، وتقع المفاجأة عندما يختلف العروسان ويقرران عدم إتمام الفرح.. ويتدخل رئيس الديوان للتوفيق بينهما بالمعروف مرات وبالشدة أخيرًا عندما يفشل المعروف لأن الزواج هنا لم يعد خاضعًا لمزاج العروسين وإنما هو زواج بقرار جمهورى.

وفى فيلم عادل إمام «التجربة الدانمركية» يؤدى عادل اليمين أمام الرئيس وعينه منتفخة من الضرب الذى تعرض له قبل أن يقع عليه الاختيار ليكون وزيرًا للشباب. والشىء نفسه فى فيلم معالى الوزير الذى يتم فيه اختيار أحمد زكى وزيرا نتيجة غلطة تشابه فيها اسمه مع اسم الوزير المطلوب، ويقتنع رئيس الوزراء بضم أحمد زكى حتى لا يتأخر حلف اليمين الباقى عليه دقائق ويصارح الرئيس بالغلطة التى حدثت مما قد يودى بالوزارة كلها !.. ويستقبل الرئيس بالفعل الوزراء ومنهم الوزير الغلط!

وحتى وقت قريب كانت السينما المصرية تتحدث عن الشاب الشاذ فقط من خلال ملابسه وحركاته، ولكنها لأول مرة تعاملت مع الشاذ بصورة مختلفة تمامًا فى فيلم عمارة يعقوبيان، كما فعلت أيضا مع الفتيات الشاذات، وكان هذا موضوعًا لا تقترب منه الأفلام لكن السينما جروءت عليه.

ورغم أن قضية المرأة المسيحية المطلّقة التى لا تستطيع الزواج لعدم رضا الكنيسة عن طلاقها، وبالتالى عدم مباركة أية علاقة زوجية تقيمها، من الموضوعات الحساسة لدى الأقباط، فإن الموضوع ظل بعيدا عن السينما إلى أن جرؤ عليه فيلم /اصفر الذى يحكى عن عدة مشاكل تقع فى يوم مباراة الفريق المصرى مع الكاميرون التى فاز فيها ١/صفر، ونجد حوارًا صريحًا بين المحامى وإلهام شاهين التى قامت بدور المسيحية المطلقة فيقترح عليها المحامى تغيير دينها إلى الإسلام ولكنها ترفض، ذلك أن تعاليم الكنيسة القبطية تنص على عدم

منح الطلاق، والتصريح بالزواج مرة أخرى للرجال أو السيدات لا يتم إلا لسببين، أولهما إثبات حدوث الزنا من الزوجة أو تغيير الديانة لاحد الزوجين!! المهم أن الفيلم يكتفى بعرض المشكلة دون أن يقول أو يقترح أى حل..

وإذا كانت هذه الأفلام قد نجحت فى معالجة قضايا مختلفة فقد ظهرت موجة أفلام العشوائيات التى ت،عتمد فى اختيار أبطالها وتصويرهم فى المناطق العشوائية، التى تكاثرت وأثمرت سلوكيات جديدة إلا أن عدداً من هذه الأفلام لم تقصد العلاج أو الحل بقدر ماقصدت تسليط الضوء على التصرفات الجنسية التى أصبحت فى حد ذاتها الهدف.

تذكر أنك مصرى

بالو آلتو ـ زرت مصريين لهم أكثر من ٢٥ سنة فى أمريكا، ولكنهم يعيشون مع مصر من خلال المسلسلات وبرامج الفضائيات و "التوك شو" أكثر من المصريين فى مصر،بسبب "الكابل" الذى نقل مصر إليهم. وكما هو الحال فى البيوت المصرية خلال شهر رمضان من النادر ألا يتابع أى مصرى فى أمريكا مسلسلات الشهر الكريم التى تذاع فى مواعيد تناسبهم! المصرى قد يترك مصر وتظنه هجرها، ولكنها على العكس تعيش فى داخل معظمهم غصبًا عنهم ودون أن يروا.. هو يعرف أن الحياة فى بلاد مثل أمريكا أفضل وأريح كثيرًا، ومع ذلك تبدو أمنيته الكامنة أن يعود يومًا أو على الأقل أن يدفن عندما يموت فى ثراها !

وقد يبدو بعض المصريين أنهم خلعوا فور وصولهم جلبابهم وارتدوا القبعة الأمريكية وسعدوا بالأمركة التى أحاطت بهم. ولكن مثل هؤلاء عددهم قليل. وفى الغالب تكون نهاياتهم غير سعيدة.. فالانفصال بين الزوجين تم، والأولاد كل فى طريق،وسن الخريف التى وصلوا إليها أصبحت موحشة بسبب التبعثر الذى لم يدركوه إلا متأخرا. ومن حسن الحظ أن هذا ليس طابع معظم المصريين فى أمريكا.. صحيح أنهم يأخذون من الحياة الأمريكية وسائلها المريحة، ولكن هناك الهمس الملح داخله من وقت لآخر :تذكر أنك مصرى ! حتى فى حياتهم يخلطون دون قصد بين الأمريكى والمصرى.. فالأمريكى عادة لايدعوك إلى العشاء فى بيته.. فبيته خاص له إلا للقريبين الذين يمكن أن يدعوهم إليه فى مناسبات محدودة جدًا.. ولكن المصرى تجده يفعل شيئًا غريبًا، يدعوك إلى العشاء فى

الخارج،لكنه بعد العشاء يطلب إليك أن تشرب معه الشاى فى البيت حتى يستشعر دفء جلسة البيت المختلفة! يعنى أن مصريته غلابة. يسافر ويقطع آلاف الأميال مثل الطيور والأسماك التى تهجر سماواتها ومياهها لفترة،لكنها دومًا تعود إلى أوطانها. لكن الفرق أن الطيور والأسماك تهاجر فى أسراب وجماعات وتحكمها عاداتها وغرائزها التى تسيطر عليها، أما البشر فيرحلون فرادى وتحكمهم عقولهم التى لامقياس ثابت أو واحد لها !

العلاج بالمتقاطعة

من النادر أن تخلو صحيفة من باب يومى عنوانه الكلمات المتقاطعة، ومع أن عددًا من القراء لايلتفت إلى هذا الباب، فإن عددًا آخر لايفوته حل كلمات هذا الباب، بل إنه قد يكون وسيلة الإغراء الأولى لهم لشراء الصحيف..كما أن هناك قراء آخرين لايغادرون بيوتهم قبل مطالعة حظهم فى بختك اليوم..

ولا تخلو صحيفة فى العالم تقريبًا من باب الكلمات المتقاطعة الذى أصبح يعتبر من أهم وسائل تسلية القراء وشغل أوقات فراغهم، وإن غطت عليها "السودكو" التى بدأت فى اليابان وتستخدم الأرقام من واحد إلى تسعة وأصبحت هى الأخرى "أفيونة" الملايين،ولكن بقيت للكلمات المتقاطعه سحرها.

وقد ظهرت هذه الكلمات لأول مرة على يد صحفى اسمه" ارثروين "من مدينة ليفربول الإنجليزية ولم يكن هدفه تسلية القراء وإنما استخدام هذه الطريقة لتعليم الأطفال القراءة والمعارف البسيطة.

ومن انجلترا انتقلت هذه الكلمات المتقاطعة إلى أمريكا حيث تم تحويلها إلى وسيلة ترفيهية، وكان ظهورها لأول مرة لهذا الغرض فى عدد الأحد الأسبوعى لصحيفة ذى نيوورك وورلد يوم ٢١ ديسمبر١٩١٣.

وقد أخذت فى ذلك الوقت شكل الماسة .. إلا أن صحفًا أخرى التقطت الفكرة وطورتها ونشرتها فى أشكال مختلفة، كان أشهرها ذلك الذى ينشر على شكل مربع كبير ..حتى صحيفة التايمز الإنجليزية الشهيرة بأسلوبها المحافظ نشرتها

اعتبارًا من أول فبراير ١٩٣٠ ولم تتخلف يومًا حتى فى عز سنوات الحرب عن نشرها .. وأصبح مألوفًا مشاهدة عشرات الركاب فى المترو والقطارات وقد أمسكوا باقلامهم واستغرقوا فى حل باب الكلمات المتقاطعة الذى أصبح له خبراؤه الذين يحررونه.

وهناك من ينظر إلى حل هذه الكلمات باعتباره إضاعة لوقت لا فائدة منه، غير أن باحثين وخبراء أعلنوا فى دراسة أخيرة أن حل هذه الكلمات يعتبر من أهم الأسباب لعدم الإصابة بمرض الزهايمر أو النسيان وهو مرض يصيب عادة كبار السن عندما تشحب الذاكرة وتصل إلى حد عدم معرفة القريبين منهم. يقول هؤلاء الباحثون أن العقل مثل أية عضلة يحتاج إلى تدريب على التذكر ..وهناك من يستخدمون أبيات الشعر وسيلة للتذكر، كما أن هناك من يحاول حفظ آية أو آيتين من القرآن الكريم كل يوم وتذكرهما ..وأيا كانت الوسيلة فالهدف هو تمرين العقل ..وقد أدخل هؤلاء الباحثون حل الكلمات المتقاطعة ضمن هذه الوسائل واعتبروها منشطة جدًا للذاكرة ..والآن لا تسخر من الذين يحلون هذه الكلمات فقد ثبت أنه لها فائدتها الطبية بالإضافة إلى أنها تضيف إلى معلومات القارئ بشرط ألا تكون معلومات غلط!

سجين فى المطار

لم يحدث أن تم إيقافى فى أى مطار ومنعى من دخول دولة سوى مرتين.. مرة فى مطار موسكو عام ١٩٦٦ والثانية فى مطار جدة لنحو ثلاث سنوات.. وفى مطار جدة فكان الإيقاف بسبب التشابه فى اسمى واسم شخص مسجل اسمه على الكمبيوتر وممنوع من دخول المملكة.. وكان موظف الجوازات يستقبلنى فى البداية بالترحيب وهو يقرأ بياناتى المسجلة فى جواز السفر، ولكنه بعد دقائق يطلب منى الانتظار، وتمضى نحو نصف ساعة قبل أن يتأكدوا أننى لست الشخص الممنوع أو المطلوب.. وفى مرة أصر الفنان محمود ياسين الذى كان على الطائرة أن ينتظر معى حتى أنهى جوازى ونخرج معًا. ولم يكن يعرف أننى مشتبه فى اسمه وأن الأمر سيحتاج إلى الانتظار طويلاً، وقد خجل بعد مرور ربع ساعة من تركى والخروج واضطر أن يبقى معى ولكن على نار طبعًا.. وقد شكوت لوزير الإعلام السعودى وللسفير السعودى، وفى كل مرة أتلقى ردا بأنه الكمبيوتر الذى لا يعرف الوساطة. ومن حسن الحظ أن الكمبيوتر أمسك بى فى رحلة كنت فيها فى صحبة الرئيس مبارك فى إحدى زياراته للملكة السعودية وانتهزت الفرصة وأثرت المشكلة مع رئيس الديوان وتم تعريف الكمبيوتر بالخطأ الذى جعله يخلط بينى وبين المشتبه فيه.. ومن يومها وأنا أفتش عن الفنان محمود ياسين ليصاحبنى فى دخول المملكة كى أريه السرعة التى أدخل بها المملكة!

وفى موسكو، كنت أنا السبب فى حجز السلطات السوفيتية لنا بالمطار، فقد كنا ثلاثة صحافيين مدعوين إلى زيارة كوريا الشمالية (بيونج يانج) عن طريق

موسكو، وقد أوعزت إلى زميلىّ بأن نذهب مبكرا ثلاثة أيام قبل يوم الوصول إلى كوريا ونتوقف فى موسكو لرؤيتها.. ولم يكن هناك وقت للحصول على فيزا دخول موسكو، وقد أفهمتهم ولم أكن أعرف أهمية الفيزا أننا سنواجه أخوتنا السوفيت بالأمر الواقع وأنه فى ظل العلاقات التى كانت وقتها مع مصر فى أوج قوتها فلابد أنهم سيجدوننا ثلاثة صحافيين من دولة صديقة، ولا يمانعون فى بقائنا ثلاثة أيام خصوصًا أن تذاكر السفر معنا.

ولكننا عند وصولنا مطار موسكو فوجئنا بأن السوفييت تجاهلوا تمامًا كل علاقات الصداقة والسد العالى وحجزونا فى المطار، وأعدوا لنا غرفة مكتب أحد الموظفين لنمضى الليلة فيها حتى يعيدونا فى صباح اليوم التالى فى الطائرة المتجهة إلى القاهرة! وفى البداية تصورنا أنها قرصة أذن وتفوت، لكننا اكتشفنا أنهم جادون فعلاً فيما يفعلون، وزاد المشكلة أنه لم يكن هناك واحد فى المطار فى ذلك الوقت عام ١٩٦٦ يتحدث الانكليزية، وبالطبع لم يكن أحدنا يعرف من الروسية سوى كلمة «خراشو» يعنى تمام أو مضبوط، بينما ما فعلناه لم يكن أبدًا «خراشو». ورحنا نعد المقاعد الخشبية التى سنمضى عليها الليلة وكل منا ينظر إلى الآخر دون أن يستطيع النطق بكلمة،وإن كان الواضح أن زميلاى كانا يلعنانى فى صمت لأننى السبب فيما جرى بسبب نصيحتى الهباب! ولكن شاء السميع العليم أن ييسرها بعد أن بدا أنها معتمة. ففى وسط ظلام اليأس والصمت الذى لفنا سمعنا صوت شاب بدا أنه مصرى وقد دخل علينا مندهشًا لمفاجأة وجودنا ولماذا لم تبلغونا لنتخذ الإجراءات؟.. هذا الشاب المنقذ نسيت اسمه، وكان من تنظيم الشباب، وقد حضر إلى المطار لاستقبال وفد صغير على الطائرة التى كانت تقلنا، وفى خلال إنهاء ترتيبات وصول الوفد الصغير سمع من الحوار الدائر بين رجال الجوازات باللغة الروسية التى يجيدها أن هناك ثلاثة مصريين؛ محتجزون فى المطار فتفتق ذهنه فى الحال عن إيهام السلطات أنه نسى إبلاغهم بوصول ثلاثة مصريين لأن السلطات المصرية تأخرت فى إرسال أسمائهم.. وهكذا جاء إلينا الشاب وعرف بحكايتنا وأبلغ مسئولى المطار أنه ضامن لنا..

وتغيرت الأحوال وظهرت الابتسامة على الوجوه.. وقد صحبنا فى سيارته وحجز لنا الفندق الذى سننزل فيه ولو لم يكن معنا فى الظروف المشددة التى كانت تحكم موسكو ما كان يمكن أن يقبلنا فندق.. وعاد لنا الرجل فى صباح اليوم التالى وصحبنا فى أجمل فسحة شاهدنا فيها موسكو التى بدت لنا فى ذلك الوقت أكبر مدن العالم، فقد كان الاتحاد السوفييتى وقتها فى ذروة مجده وقوته، وكان هذا الإحساس بالقوة ينعكس على المدينة، .ومنذ هذه الزيارة الأولى التى حجزونا فيها زرت موسكو أكثر من عشر مرات دخلتها فى كل مرة من باب كبار الزوار.. وفى خلال هذه السنوات تغيرت موسكو وتغيرت صور شوارعها فى نظرى، وكانت المرة الأسوأ عندما زرتها فور انهيار الاتحاد السوفييتى وقد بدت لى المدينة التى كنت أتصورها أضخم وأجمل مدن العالم مدينة مكتئبة حط عليها تراب الإهمال!

من الأعيان

من الألقاب التى كانت سائدة فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لقب «فلان باشا من الأعيان» وكان ذلك يعنى ثراء صاحب اللقب من ثروة عقارية يمتلكها وتحقق له إيرادا ضخماً يأتيه من دون عمل، فهو غنى ولكن لا عمل له سوى أنه من الأعيان!

وقد وصف الكاتب الفيلسوف توفيق الحكيم هذا النوع، بأنهم أصحاب «الأيدى الناعمة» نسبة إلى ثرائهم، وفى الوقت نفسه خلو أيديهم من القدرة على ممارسة أى عمل.

وقد كان حلم شباب كثيرين أن يكونوا من الأعيان، أغنياء ولكن لا يعملون، ولم تكن هذه الطبقة موجودة فى مصر فقط، وإنما فى كل العالم، فقبل الثورة الفرنسية كانت هناك طبقة النبلاء التى يمكن أن تقابل «الأعيان»، أسماء كبيرة غنية ولكن من دون عمل.

وفى مصر قضت ثورة يوليو ١٩٥٢ على «الأعيان» عندما جردتهم من الأراضى الزراعية التى كانوا يملكونها ووضعتهم تحت الحراسات، وشاهدت بعينى مليونيرات يشترون لبيوتهم اللحم الرخيص الثمن الذى كانت تبيعه الجمعيات الاستهلاكية بأسعار مخفضة، على أن الملاحظ ان مفهوم «الأعيان» نفسه أو «النبيل» أو «الغنى» بدون عمل، مفهوم تغير مع خروج أمريكا من عزلتها ونشر أفكارها ونماذجها فى العالم، ذلك أن أمريكا لا تعرف الغنى بدون عمل، فالمليونير

لم يحصل على ثروته بدون عمل بل بدون أعمال، ومهما بلغت ملايينه فإنه لا يتوقف عن العمل إلا إذا أقعده المرض أو العجز، ولا يستطيع أى مليونير أمريكى مهما بلغت ثروته أن يفتخر بأن ملايينه تعود عليه بدخل لا يتوقف بينما هو لا يعمل. فرغم انه مجتمع رأسمالى لكنه يقوم على أساس احترام الفرد إذا كان يعمل، ولهذا فمن التقاليد المعروفة قيام ابن أى مليونير بالعمل من أجل الكسب فور بلوغه، فلن يكون غريباً أن تجد ابن مليونير يعمل فى محطة بنزين. وأغنى رجل فى العالم وهو بيل جيتس لم يحدث أن كان فخره بملايينه التى يملكها، بل باستمراره فى العمل، بالإضافة الى أنه لا يحتفظ بثروته أموالاً سائلة بل مشروعات تحقق الدخل لآلاف العاملين الذين يعملون فيها وتزيد فى الوقت نفسه ثروته دون أن يقول أنه من النبلاء أو الأعيان وإنما من أصحاب الأعمال!

مذبحة الحمام!

راجت فى مصر لفترة ظاهرة اختفاء الحمام من الأسواق، وهو أحد الطيور التى تعود كثير من المصريين ان يأكلوها مشوية آ، ـحشوة بالأرز. ونتيجة لذلك فإنه بدلاً من شراء الحمام مذبوحا ليؤكل، أصبح الكثيرون يتسابقون لشرائه حيًا والذهاب به إلى الطبيب الذى نشر حكاية قدرة الحمام على علاج مريض الكبد المصاب بالفيروس سى.

لا استغرب كثرة عدد الذين صدقوا المقولة ومنهم مهندسون ومحامون، بل وأطباء..فأنا أعرف شعور المريض عندما يرى عجز العلم عن مساعدته، فيستسلم لأى خرافة، مهما وصل إليه من علم، ففى النهاية هناك منطق: وما الذى يضر إذا لم ينفع.. ولماذا لا نجرب؟

ذهبت مع زوجتى ـ رحمها الله ـ ندق أبواب «دكتور» فلبينى يجرى عمليات فتح بطن وهمية فى أى مكان بالجسم دون مشرط أو مخدر ويخرج من داخل المريض ما يوهمه بأنه الجزء المصاب الذى سيشفى بعد التخلص منه، ولم تكن المسألة تتجاوز حركة من الدكتور فيها خفة يد تخفى جزءًا من مصارين أحد الطيور يخرجه على طريقة الساحر.. ورغم ذلك كان يقصد هذا الفلبينى مرضى من كل أنحاء الدنيا بما فى ذلك شعوب الدول التى تجلس على قمة التطور فى العلاجات، ولكن بسبب وقوف العلم عاجزًا أمام بعض الأمراض فقد وجد الفلبينى فرصته!

حكاية الحمام فى مصر بدأت عندما قيل ان أحد المصطافين كان يتمدد فى الشمس عندما سقطت على بطنه العارى حمامة ترنحت ثم ماتت، وقد اكتشف الرجل ويا للعجب أنه شفى من مرض فيروس الكبد المصاب به. وفى مثل هذه الحالات، فإن الوسيلة البدائية الأولى لنشر الخبر، أن يقول هذا لذاك، وذاك يهمس فى أذن آخر، وهلم جرا، وهكذا فإن مصر كلها أصبحت على علم بالمعجزة، ولأن التكلفة بسيطة! حمامة يذهب بها المريض ويدفع ما يعادل خمسة جنيهات، وقد تزاحم المرضى على أطباء العلاج بالحمام، وأصبحت هناك مذبحة للحمام ستنحسر، كما حدث لخرافات كثيرة انطلقت وشاعت وحققت لمنتفعيها أرباحًا كثيرة، ويقال إن الذين روجوا لهذه المذبحة هم تجار الحمام أنفسهم الذين ضاعفوا سعره ثلاث مرات فى أسبوع واحد! والغريب أن هذه الظاهرة ماتت فجأة كما اشتعلت فجأة ولم يعد الحمام يشفى مريض فيروس سى. وصباح الخير يابلد!

سرقة الزمن

أرقام وحقائق: فى العالم اليوم ٦٠٥ ملايين فرد سنهم ٦٠ سنة فما فوق.. هذا يعنى أن عشرة فى المائة من سكان العالم تجاوزوا الستين، فى عام ٢٠٢٥ سيبلغ عدد الذين يتجاوزون سن الستين مليارًا و٢٠٠ مليون فرد يصلون إلى مليارى فرد على الأقل عام ٢٠٥٠.

فى الولايات المتحدة يوجد حاليًا ٥٢ ألف فرد بلغوا سن المائة أو أكثر.. وبعد 40سنة سيصل هذا العدد إلى أربعة ملايين!

الحقيقة المؤكدة أن متوسط عمر الإنسان زاد فى القرن العشرين لأسباب أصبحت معروفة، أهمها التقدم فى علوم الصحة والطب والصيدلة، وأيضًا الاختراعات الحديثة التى وفرت للإنسان حياة أفضل وأكثر راحة.. هذا الاتجاه فى زيادة متوسط العمر سيستمر فى القرن الـ٢١ لأسباب واضحة.. أهمها أننا أصبحنا نعرف أكثر عن أسرار فى جسم الإنسان لم نكن نعرفها، وأن حركة التقدم فى علوم الصحة والطب والمخترعات مازالت مستمرة.. وغير ذلك كله عدم العثور حتى اليوم على حد من السنين يتعذر أن يتخطاه الإنسان، فمع كل بحث جديد يتضح أن الله هندس جسم الإنسان ليحيا فترة أطول كثيرًا مما يحياه الآن.. ولكن حذار، فمهما كان التطور فإننا لا يمكن أن نحيا إلى الأبد.

قرأت عرضًا لكتاب عنوانه: »سرقة الزمن. علم جديد اسمه الشيخوخة.«يقول مؤلفه الأميركى "فريد وارشوفاسكى" إن أهم توقع هو أن الشيخوخة ستكون أفضل.. وأننا سنشيخ ببطء وسنتجنب الأمراض المرتبطة

بالشيخوخة حتى نهاية العمر.. وهذا أجمل ما فى الموضوع، فليس هناك أسوأ من حياة طويلة محاطة بالأمراض وعدم القدرة على الحركة، وإزعاج من حول صاحبها.. بهذا المفهوم يمكن أن تطول الحياة ولكن دون أن يتمتع بها صاحبها، أما بالمفهوم الجديد فإن الأبحاث لا تتجه فقط إلى إطالة الحياة وإنما أيضًا إلى إطالة فترة الشباب.

إن الحياة تطول - هكذا يمكن فى إيجاز شديد - بحسب قدرة الجسم على إصلاح نفسه، ذلك أننا نصلح أنفسنا بأنفسنا.. الجروح تلتئم.. العظام تلتحم.. المرض مثلما يجىء يروح، أما عندما يعجز الجسم عن إصلاح نفسه.. هنا تكون الشيخوخة!

طبعا هناك عنصر الجينات فى إطالة الحياة، فالذين فى أسر معمرة تكون احتمالات حياتهم الطويلة أكثر، وغير ذلك هناك عناصر أخرى، الكولسترول وهو مادة ضرورية يحتاجها الجسم لإنتاج عدد من الهرمونات وفيتامين دال وأحماض الصفراء.

ويحصل الجسم على الكولسترول من مصدرين: ما يصنعه الجسم نفسه، وما يصل إليه من الغذاء.. فإذا كان الجسم ينتج كل حاجته من الكولسترول فإن ما يصله من الغذاء سيرفع مستواه فى الدم، ومع ذلك فما يحدث للناس جميعًا هو تزايد الكولسترول مع تقدم العمر. كما يتزايد أيضًا مع تقدم العمر السكر فى الدم مما يجعله يشتبك مع كرات الدم، الحمراء ويقلل من قدرتها على حمل الأوكسجين وإنتاج مادة تقلل كثيرًا من مرونة البروتين وتكون أحد الأسباب الرئيسية للشيخوخة فى الجلد والرئة والعظام.

لهذا أصبحت الحقيقة المؤكدة أن الغذاء هو السبيل الأول لإطالة الحياة.. وأنه بقدر حاجتنا إلى الكولسترول تكون زيادته عنصرًا مؤثرًا.. وأن الغلوكوز الذى يمثل الوقود الذى نحتاجه للبقاء يمكن أيضًا أن يقتلنا ببطء.. فهو شفرة ذات حدّين.. يمنح الحياة ويسلبها.. إنها بعض أسرار المعجزة الكبرى، بل مستودع الأسرار والألغاز الذى اسمه الإنسان

كلاب تكشف السرطان

حدث فى الكويت خلال انعقاد مؤتمر قمة دول الخليج فى ديسمبر الماضى، وبسبب إجراءات الأمن التى كانت مفروضة على الفندق الذى كان ممثلو الإعلام يقيمون فيه، أن أوقفت «الكلاب المدربة على شم المتفجرات» سيارة كان الكلب يقف أمام أحد أبوابها لا يتحرك. وبعد عملية تفتيش دقيقة اكتشف الشرطى بقايا «بمبة» من التى يلعب بها الأطفال كانت فى جانب من باب السيارة! أما كيف توصل الكلب إلى هذه «الفتفوتة» من بقايا ذرات من البارود، فهذا هو سر حاسة الشم التى أعطاها الله سبحانه وتعالى للكلاب. وإذا كان مما يفخر به الإنسان حاسة الشم وتمييز الروائح إلا أنه مهما بلغت قوة الشم عند أى إنسان فإن قوة الشم عند الكلاب تبلغ ما بين عشرة آلاف إلى مائة ألف مرة من قوة الشم عند الإنسان، وهذا ناجم عن غزارة الخلايا الخاصة بالشم عند الكلاب.. فهذه الخلايا عددها يقدر بخمسة ملايين خلية لدى الإنسان بينما لدى الكلب تتراوح بين ١٢٥ و٢٢٠ مليون خلية، ولذلك قيل أيضًا إن الكلاب تستطيع اكتشاف نقطة واحدة من الدم اختلطت بخمسة لترات من الماء!

وعندما تضع الكلبة صغارها، فإن أول ما يميزه الجرو الصغير رائحة الأم التى يستدل عليها من بين مجموعة الكلاب الأخرى!ولا تتوقف الكلاب عن الشم، فأينما تذهب تقم بشمشمة الأرض التى تسير فوقها وجوانب الأرصفة وتحت الشجر، وهى لا تفعل ذلك بحثًا عن شىء معين وإنما لأنها طبيعة موجودة فيها، وهذه الحاسة القوية فى الشم هى التى مكنت من تدريب عدد من الكلاب على

شم المخدرات والمتفجرات أو الأغذية - كما يحدث فى مطارات الولايات المتحدة التى تمنع دخول الأغذية مع الركاب - ويتم كشف هذه المواد مهما صغر حجمها.

لكن الجديد هو اكتشاف الأطباء قدرة الكلاب عن طريق حاسة الشم، على كشف عدد من حالات السرطان مبكرًا. حكت سيدة أن كلبها كان يدور ويلف حول إصابة صغيرة جدًا فى جلدها، والشىء نفسه حدث مع رجل كان مصابًا بمرض جلدى فى إحدى ساقية، وهو يشكو من هذا المرض منذ ١٨ سنة، وكان كلبه يشمشم دائمًا فى مكان الإصابة، وفى الحالتين اكتشف الاثنان إصابتهما بالسرطان.وقد أعلن الباحثون فى أحد المستشفيات الإنكليزية أن التجارب الأخيرة التى أجروها على ستة كلاب دربوها على شم عينات من بول المرضى، أثبتت قدرة الكلاب، بنسبة كبيرة، على اكتشاف العينات المصاب أصحابها بأمراض سرطانية، مثل سرطان المثانة.

وكانت أكثر النتائج إثارة عندما أجمعت الكلاب الستة على عينة مأخوذة من شخص غير مصاب بالسرطان مؤكدة أن صاحبها مصاب، ورغم إجراء فحوص سابقة لصاحب العينة فقد أثارت تصرفات الكلاب الطبيب الذى أعاد إجراء الفحوص بشكل أكثر تركيزًا واكتشف وجود ورم لدى المريض على كليته اليمنى لم يكتشفه الفحص العادى.

بقى أن تعرف أن الدراسة ذكرت أن أشهر الكلاب التى أظهرت براعة فى هذا المجال هى الكلاب من سلالة «السبنيلى»، ولكنها بالنسبة للباحثين مشوار مازالوا فى بدايته!

رجل عمله الشكوى!

منذ أيام احتفل محمد عبد ربه غزى بكتابته الشكوى رقم ٢٥٠ ألفًا، فقد عاش حياته متخصصًا فى كتابة الشكاوى والرسائل.

كان أبوه يعمل جنديًا فى سكة حديد مصر عندما فصل فى عهد رئيس وزراء مصر الأسبق مصطفى النحاس. وفى ١٦ مارس ١٩٤٦ كتب الأب المفصول شكوى إلى رئيس الوزراء يطالب بإنصافه وإعادته إلى عمله، وظل يلاحقه بالشكاوى دون فائدة، فأقام دعوى قضائية قضت بإعادته إلى عمله. ومنذ ذلك الوقت أصبحت كلمة «شكوى» من الكلمات المتداولة فى البيت، وبسرعة التقط الابن محمد الكلمة وراح يختزنها فى داخله إلى أن جاء الوقت الذى أتيح له فيه أن يكتب أول شكوى فى حياته، وكانت باعترافه ضد أمه! ذلك أن الأم كانت متزوجة قبل أبيه وأنجبت من زواجها السابق طفلين، وكانت شديدة القسوة فى معاملتها له وتخطط - كما عرف - للاستيلاء على أرض أبيه كى تخص بها ولديها من الزواج السابق.. وكتب الابن محمد شكوى ضد أمه بعث بها إلى رئيس مباحث بنها حيث كان يسكن، وجاءت النتيجة من حسن حظه إيجابية، فقد تحركت المباحث وأوقفت محاولات الأم للاستيلاء على الأرض، وعند ذلك أدرك محمد غزى - الذى أصبح فيما بعد مشهورًا باسم «غزى شكاوى» أهمية الشكوى فتخصص فى كتابتها وإرسالها على جميع المستويات ابتداء من الموظفين العاديين إلى رؤساء الجمهوريات الذين كانت رسائله إليهم تختلف فى الموضوع.

ربما كان عمله هو الذى ساعده على ذلك فهو تعلم فن الحياكة وأصبح ترزيًا للبدل فى منطقة شعبية يسكنها عدد كبير من الذين يعانون ويشكون ويقصدون محله للتخفيف من همومهم فيتناول هذه الهموم ويحولها إلى شكاوى مكتوبة!

ولقد تعامل محمد غزى مع جميع الرؤساء والقادة، فهو كتب إلى عبد الناصر عام ٦٢ يحذره من الذين حوله، وبعد يومين استدعاه أمين رئاسة الجمهورية واستمع إلى مقصده، وبعد أسبوع تلقى برقية من جمال عبد الناصر يشكره على نصيحته. وعندما هاجم الملك حسين الفلسطينيين فى أزمة أيلول أرسل إليه يعاتبه، وأرسل برقية تعازٍ إلى ياسر عرفات رد عليها ببرقية شكر، وعندما عقد مؤتمر عدم الانحياز فى بريونى أرسل برقية تهنئة إلى الرئيس اليوغسلافى تيتو، وفى عهد أنور السادات كتب إليه أكثر من شكوى خصوصًا بحرمان قريته (الخانكة) من الكهرباء، وبعد ذلك هنأه على رحلته إلى القدس، وأرسل إلى الرئيس الأمريكى الأسبق كارتر يهنئه على موقفه فى محادثات كامب ديفيد، وإلى الرئيس الفرنسى ميتيران يدعوه لزيارة مصر.. وكانوا جميعًا يردون عليه.. الوحيد الذى لم يرد عليه كان صدام حسين الذى أرسل إليه محمد عشر برقيات تأكد من وصولها، وكانت برقيات احتجاج على تصرفاته اعتبارا من غزو الكويت إلى عدم الانسحاب منها إلى استخدام الغازات ضد الأكراد وغيرها من مختلف الجرائم التى ارتكبها صدام!

الشاى الأخضر ضد السرطان

كثر الحديث هذه الأيام عن الشاى الأخضر المعروف عنه أنه يساعد فى الهضم، لكن الجديد ماقاله باحثون فى تايوان من أن دراسة شملت أكثر من ٥٠٠ شخص أوضحت أن الشاى الأخضر يقى من الإصابة بسرطان الرئة. ووفقًا للدراسة فإن المدخنين وغير المدخنين الذين تناولوا على الأقل فنجانًا واحد من الشاى الأخضر يوميًا تتراجع مخاطر إصابتهم بسرطان الرئة بصورة كبيرة.غير أن خبراء السرطان يحذرون من أن الدراسة لا تغير من حقيقة مخاطر التدخين على الصحة.

والشاى الأخضر يستخلص من أوراق نبات اسمه "كاميليا سينيسس" الذى يزرع فى القارة الأسيوية.وقد وجد الباحثون أن معدلات الإصابة بمرض السرطان أقل بصورة كبيرة فى آسيا مقارنة بباقى أنحاء العالم مما دفع البعض بالربط بين الظاهرتين.وحسب الدراسات المعملية فإن المواد المستخلصة من الشاى الأخضر والمعروفة باسم "بوليفنول" قد توقف نمو الخلايا السرطانية.غير أن نتائج الدراسات التى أجريت على الإنسان جاءت متناقضة. فبينما أظهر البعض تأثيرًا وقائيًا فإنه فى حالات أخرى لم يرد أى تأثير على الإطلاق.

ويقول محرر البى بى سى إن مجموعة بحثية فى "أكسفورد " نشرت فى يوليو٢٠٠٩ دراسة بشأن العلاقة بين الشاى الاخضر والسرطان خلصت إلى أن تناول الشاى الأخضر باعتدال لا يمثل خطرًا لكنها لم تؤكد على قدرة الشاى

الأخضر على منع الإصابة بالسرطان. أما فى تايوان فإن الباحثين مصرون على أن الذين لا يتناولون الشاى الأخضر سواء مدخنين أو غير مدخنين أكثر عرضة للإصابة بسرطان الرئة بنسبة خمسة أضعاف مقارنة بمن يتناولون فنجانًا واحدًا على الأقل يوميًا.

رنة المحمول.. !

كان الهدوء يسود مكان سرادق العزاء الذى راح الحاضرون فيه ينصتون بتعمق إلى صوت الشيخ القارئ عندما كسر الصمت صوت أغنية هيفاء وهبى "شيل الواو حط الواوا".. احتاج الأمر بعض الوقت حتى تمكن الجالس إلى جوارى من دس يده فى جيبه وإخراج تليفونه المحمول وإسكات صوت الأغنية التى اختارها لتكون رنة تليفونه.. !

يخرج أى تليفون محمول من مصنعه حاملاً عدة نغمات معظمها هادئ ليختار منها صاحب التليفون النغمة التى تكون رنة تليفونه عند الاتصال به.

فى بداية ظهور المحمول كانت نغمات الأجهزة هى السائدة، ولكن فجأة اكتسحت المنطقة تجارة جديدة اسمها تجارة اختيار الرنات التى قدمتها عديد الشركات وقدمت فيها قوائم عديدة من مقدمات الأغانى وأحيانًا الأفلام أو المواقف الشهيرة فى المسرحيات.. وهى ليست تجارة خاصة بالمنطقة العربية، وإنما سبق ظهورها فى الدول الأخرى، وكانت الفكرة أساسًا تمييز بعض تليفونات أفراد الأسرة حتى إذا علا رنين أحد التليفون بنغمته عرف صاحب التليفون المتحدث خاصة إذا كان تليفونه فى مكان بعيد عنه.. تطورت العملية وظهر جنون تغيير الرنات وشركات متخصصة عديدة، بحيث أصبح هناك من يقوم بتغيير رنة تليفونه مرة كل شهر وأحيانًا كل أسبوع.. ولأن الأغانى الحديثة موسيقاها كلها صاخبة وراقصة فقد أثارت أصوات رناتها السخرية خاصة فى المواقف الجادة التى يكون فيها صاحب التليفون موجودًا فى سرادق عزاء أو اجتماع مهم.

ولكن فى المقابل هناك الذين يختارون صوت آذان الصلاة ليكون رنة تليفونه مما يريك بعض الحاضرين الذى يتصورون حلول الصلاة!

المشكلة أن كل واحد أصبح يختار ما يريد دون اعتبار للآخرين وأن رنة تليفونه تزعج الكثيرين بل وتكشف لهم عن غرابة شخصية صاحبها خاصة إذا كان من محبى "شيلوا الواوا" وصباح الخير يابلد !

العولمة والإقليمية

لولا ثورة الاتصالات التى شهدها الربع الأخير من القرن العشرين لما جاز لنا أن نتحدث عن العولمة التى حولت العالم إلى قرية صغيرة.

لقد ظلت دول كثيرة فى العالم تبدو خارج الاتصالات سواء بالوصول إليها أو بالاتصال بها.. أذكر فى عام ١٩٩٦، وكنت مدعوًا لزيارة كوريا الشمالية مع زميلين آخرين، أن جازفنا ووصلنا إلى موسكو قبل يومين من موعد الطائرة التى ستقلنا إلى بيونغ يانغ دون ان تكون معنا تأشيرة دخول للاتحاد السوفييتى، وحجزونا فى المطار، وكان يمكن أن نمضى اليومين داخل المطار لولا المصادفة التى جاءت بأحد أفراد السفارة المصرية إلى المطار لاستقبال دبلوماسى كان على الطائرة نفسها التى حملتنا، وسمع بحكايتنا فوقَّع طلبًا باسم السفارة المصرية يتعهد فيه بوضعنا تحت رقابة السفارة خلال اليومين اللذين نمضيهما فى موسكو وتسليمنا إلى المطار للسفر إلى العاصمة الكورية، وفى طريق عودتنا اتصلنا بالسفارة الصينية فى بيونغ يانغ عاصمة كوريا الشمالية، وبعد مفاوضات نجحنا فى إقناعهم بإعطائنا فيزا مرور، وكان دخول الصين فى ذلك الوقت يعتبر عملاً صعبًا. ولكن بانهيار الاتحاد السوفييتى وبالتطورات التقنية التى حدثت فى الاتصالات أصبحنا نتصل بموسكو وبكين وتيرانا عاصمة ألبانيا، وكانت ذات يوم دولة منفصلة عن العالم يستحيل الوصول إليها. وفى خلال هذه السنوات تطورت وسائل السفر وامتدت إلى كل ركن فى العالم، وأصبح سهلاً أن يطير الإنسان إلى أى مكان فى

ساعات، وأن تطير أفكار البشرية وأحداثها عبر العالم فى لحظات سواء عن طريق أجهزة التليفزيون أو الإنترنت.

وفى الوقت الذى وصل فيه العرب إلى كل ركن من أركان العالم، فإن شعور العربى بالعزلة والابتعاد عن وطنه لم يعد بالقدر نفسه الذى كان موجوداً قبل العولمة، فعندما سافرت للمرة الأولى إلى بريطانيا فى عام ٦٧ كان علَّى للاتصال بمصر أن أقوم بحجز المكالمة التليفونية قبل يومين، وأن أبلغ موظف السنترال الذى كنا نطلب المكالمة عن طريقه أن هناك حالة مرضية تستدعى سرعة الاتصال، فكان يلبى طلبى بإجراء المكالمة بعد ٣٦ ساعة بدلاً من ٤٨ ساعة، وكانت مصر تبدو بعيدة جداً، وفى الدول الشرقية كنا نبدو معزولين عن وطننا تماماً ليس لصعوبة وإنما لاستحالة الاتصالات بين أية دولة شرقية وأخرى.

اليوم يسافر العربى إلى آخر الدنيا ويبقى وطنه دائماً معه فى صحبته، إما من خلال الصحف العربية التى تصل فى اليوم نفسه أو اليوم التالى على الأكثر، أو من خلال الاتصالات الهاتفية السهلة من أى مكان أو من خلال القنوات الفضائية التى أصبحت تشعر المواطن فى غربته بأنه يعيش داخل إقليمه.. بالإضافة طبعاً إلى سهولة الاطلاع على صحافة أى وطن فى دقائق من خلال الإنترنت وهو ما كنت أفعله فى رحلة ذهبت فيها بالباخرة إلى القطب الجنوبى إلى آخر العالم.. وهكذا فى الوقت الذى أصبحنا نعيش فيه فى عصر العولمة، فإن الارتباط الإقليمى أصبح أكثر وأقوى وأسهل.

مدرسونا فى الخارج

منذ فترة بدأت وزارة التعليم برنامجًا للارتقاء بالتعليم فى المدارس ولما كان المدرس من أهم أطراف العملية التعليمية فقد اتجه التفكير إلى إيفاد أعداد من المدرسين إلى الخارج للتعرف على أساليب التعليم الحديثة وتجارب الدول التى سبقتنا فى التعليم.وهذه خطوة عظيمة تستحق التشجيع. ولا أعرف قائمة الدول التى ذهب إليها المدرسون ولكننى أتحث عما سمعته أخيرا فى لندن عن التصرفات الغريبة لبعض المدرسين الذين فوجئوا بانتقالهم مرة واحدة إلى مجتمعات غير مهيئن لها فراحوا يتصرفون على طريقة الانتقال من القرية إلى المركز!!

ذهب بعضهم محمّلاً بكميات من السجائر المصرية الرخيصة الثمن بالمقارنة بأسعار السجاير الإنجليزية (سعر علبة السجاير فى إنجلترا أكثر من ٧٠ جنيها مصريًا) وقد تحولوا إلى تجارة هذه السجاير التى تعتبر مهربة وإلى درجة أنهم يفترشون بعض الأرصفة لبيع هذه السجائر ومعها أنواع من الأطعمة المصرية ومنتجات خان الخليلى!!

ولا أريد أن أخوض فيما سمعته من حكايات تحرش مع الطالبات واللغة الإنجليزية الركيكة التى يتعاملون بها وخروجهم عن العادات الانجليزية وعلى رأسها الالتزام بالطوابير كل فى دوره.

لكن الأسوأ تهرب بعض هؤلاء المدرسين عن العودة والبقاء فى بريطانيا بطريق غير قانونى وفى أعمال بأقل الأجور.

وليس المطلوب وقف هذه البعثات بل لعلّى أطالب بزيادتها بشرط تأهيل كل مدرس فى دورة ثلاثة أسابيع على الأقل يتم تعريفه خلالها بالمجتمع الذى يسافر إليه وأخطار التصرفات الخاطئة والتى يمكن أن تغريه والصورة السوية التى يجب أن يكون عليها.

نريد مدرسين يتدربون على التعليم لا على التهريب!!

مهنة الإفلاس

غيب الموت المخرج كمال الشيخ.. واحد من أصحاب العلامات المهمة فى تاريخ السينما المصرية، ومن الذين يمكن أن يتابع المشاهد الفرجة على أعمالهم عدة مرات دون أن يشعر بالملل.

أخرج كمال الشيخ ٣٤ فيلمًا منها اللص والكلاب، والمنزل رقم ١٣ والسقوط إلى الهاوية، والرجل الذى فقد ظله، وميرامار، وشروق وغروب، وعلى مَنْ نطلق الرصاص... وغيرها من الأفلام التى تعددت من الإثارة إلى السياسة إلى الوطنية لكنها تدخل جميعها فى دائرة الأفلام النظيفة التى يأمن الأب أو الأم لجميع أفراد الأسرة الفرجة عليها دون خوف من إسقاط جنسى أو إشارة بذيئة أو حركات عرى من التى سادت معظم الأفلام الأخيرة.

كان كمال الشيخ من مدرسة الكاتب والمفكر الكبير عباس محمود العقاد (عاش بين عامى ١٨٨٩ و ١٩٦٤) ولم ينل من الدراسة غير الشهادة الابتدائية لكنه علَّم نفسه بنفسه وتسابق الباحثون فى إعداد الرسائل عن أدبه وفكره وحصلوا من هذه الدراسات على عديد من شهادات الدكتوراه بينما لم ينل الذى كتبوا عنه دراساتهم دكتوراه واحدة.

كمال الشيخ لم يتعلم الفن السينمائى فى معهد أو كلية، ولكن من خلال عمله فى استديو مصر كمونتير، وهى مهنة تشكّل موقعًا مهمًا فى صناعة السينما فهى التى تصنع تسلسل صور الفيلم ومشاهده، وهو نوع من الإخراج المكمل للإخراج التقليدى المعروف.. فالمخرج التقليدى يقوم بضبط المشاهد وتصويرها فى

»البلاتوه «حسب رؤيته للسيناريو، أما المونتير فيقوم بضبط المشاهد المصورة لتخرج إلى المتفرج فى شكلها الأخير.. ومع أن كمال الشيخ لم يدرس أكاديميًا فن الإخراج إلا أن كل فيلم من أفلامه يستوجب أن يدرسه الذين يتعلمون فن الإخراج فى معاهد السينما.. مع ذلك فإن هذا المخرج الكبير ظل بعيدًا عن البلاتوه نحو ١٥ سنة إلى أن مات.

وعدد المخرجين زاد كثيرًا فى السنوات الأخيرة.. وإذا كان الفيلم الواحد يتحمل عشرة نجوم لامعين إلا أن هذا الفيلم لا يتحمل سوى مخرج واحد. وفى الوقت نفسه فقد هبط معدل إنتاج الأفلام المصرية من ٦٠ فيلمًا سنويًا فى المتوسط، إلى أقل من عشرة أفلام فى كثير من السنوات بسبب أن إنتاج الأفلام أصبح يشبه المقامرة التى يمكن أن ترتفع بمنتجها إلى عالم الملايين أو تهوى به إلى الإفلاس دون قواعد معروفة..

لم يكن كمال الشيخ وحده الذى لزم بيته سنوات طويلة بلا فيلم يخرجه، بل كان له زملاء كثيرون بعضهم ينتمى إلى جيله والآخرون من الجيل الحديث، لكن السوق عرض وطلب، وإذا ضمن المخرج إخراج فيلم واحد فى السنة يكون سعيدًا، وهى صفة حرم منها عدد كبير من المخرجين الذين أصبحوا يعانون الإفلاس المادى!

همسات الحكمة

تقول الحكاية إن شيخا كان يعيش فوق أحد التلال وكان يملك جوادًا وحيدًا يعتز به، ويعتبره صديقه الوحيد فى الحياة. وذات يوم اختفى الجواد، وجاء جيران الشيخ يواسونه على هذا الحظ العاثر الذى أفقده الحيوان الصديق.. وكان رد الشيخ فى هدوء وصبر: ومن أدراكم أنه حظ عاثر؟ وبالفعل، وبعد أيام قليلة، فوجئ الشيخ وجيرانه بعودة الجواد الهارب.. لكنه لم يكن وحده بل كان يصطحب معه عددا من الخيول البرية التى كان واضحًا أن الجواد نجح فى القدوم بها.. وتهللت وجوه الجيران وتوافدوا على الشيخ يهنئونه بهذا الخير القادم والحظ السعيد.. وبلا تهلل أجاب الشيخ: ومن أدراكم انه حظ سعيد؟! ولم تمض أيام، وبينما كان ابن الشيخ يدرب أحد هذه الخيول البرية سقط من فوقه وانكسرت ساقه.. وجاء الجيران للشيخ يواسونه فى هذا الحظ السيئ الذى لحق بالابن، ولكن الشيخ أجاب بلا هلع: ومن أدراكم أنه حظ سيئ؟ وبعد أسابيع قليلة أعلنت الحرب بين دولة الشيخ والدولة المجاورة وأعلنت الدولة تجنيد شباب القرية ولكنها أعفت ابن الشيخ لكسر ساقه.. وفى الحرب، مات شباب كثيرون لكن ابن الشيخ نجا.. وبعد فترة عادت ساقه إلى حالتها الطبيعية..

نهاية القصة أو الحكاية أن أهل الحكمة لا يغالون فى الحزن على شىء فاتهم لأنهم لا يعرفون على وجه اليقين إن كان فواته شرًا خالصًا أم خيرًا خفيًا أراد الله به أن يجنبهم ضررًا أكبر، ولا يغالون أيضًا فى الابتهاج للسبب نفسه، ويشكرون

الله دوماً على كل ما أعطاهم، ويفرحون باعتدال، ويحزنون على ما فاتهم بصبر وتجمل.

وأنهى ببعض همسات الحكماء.:إذ قال حكيم: لكى يحبك الناس أفسح لهم طريقهم.. ولكى ينصفك الناس افتح لهم قلبك.. ولكى تنصف الناس افتح لهم عقلك.. ولكى تسلم من الناس تنازل لهم عن بعض حقك.

وقال حكيم آخر: كن على حذر من الكريم إذا أهنته، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن الأحمق إذا مازحته.

وقال حكيم: جوامع الشر ستة: حب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الثناء، وحب الشبع، وحب النوم، وحب الراحة.

وقال حكيم غيره: كلما أدبنى الدهر أرانى نقص عقلى، وإذا ما ازددت علماً زادنى علمًا بجهلى.

هواية الأنتيكات

لماذا أصبح الكثيرون من الناس يحبون القديم ويقبلون على شرائه بأسعار خيالية؟!

عرفت عشاقًا كثيرين للقديم.. دعك من عشاق العملات وطوابع البريد واللوحات الفنية، وانظر إلى الذين يهوون شراء أجهزة الراديو القديمة، ومطاحن البن التى أكلها الصدأ، وأباريق النحاس التى تعود إلى ما قبل قرنين، والسيارات القديمة.. انظر إلى هواة قطع الموبيليا التى تجرى إعادة إصلاحها على أيدى خبراء متخصصين.. وعندما دخلت أحد المطاعم الأميركية وجدت أن صاحب المطعم ملأ طرقات المطعم بآلات الصرف القديمة التى كانت فى المحال والصيدليات.. وفى مصر وجدت رجلاً سعيدًا وهو يحيط نفسه بعشرة أجهزة تليفون قديمة من هذا النوع الذى كان يطلق عليه «تليفون العمدة»، ووجدت سيدة تقطع مئات الكيلو مترات أينما ذهبت لشراء السجاد القديم - مهما كانت حالته - بل لعل سعادتها تكون أكثر كلما كان فى حالة مهلهلة.

ولا تصدق أن هؤلاء مجانين، فجميعنا بهذا الوصف لابد أن نكون مجانين، وإلا لماذا نسافر آلاف الأميال ونذهب إلى بلاد بعيدة لا لشىء إلا لرؤية معبد قديم، أو جدار قديم؟

قرأت عن هواية جمع طوابع البريد ولها عالمها الكبير وسوقها الممتد باتساع العالم، وقد ساعد الإنترنت على سرعة تبادل الآثار الفريدة من هذه الطوابع..

وقرأت أن ناظر مدرسة إنكليزيًا هو الذى ابتكر فكرة هذه الطوابع، وأن أول طابع ظهر فى إنكلترا كان فى أول مايو ١٨٤٠وكانت قيمته بنسًا واحدًا عندما كان الجنيه ٢٤٠ بنسا.. وبعد أسبوع صدر طابع آخر كان ثمنه بنسين، وقد أقبل الناس على شراء الطابعين بسبب استخدام الألوان فى طباعتهما مما يساعد على استخدامهما فى الزينة.

وهذا الطابع الذى صدر بسعر بنس واحد يساوى اليوم مليون دولار.. هذا إذا كان موجودًا، وهو يحمل صورة الملكة فيكتوريا صاحبة الرقم القياسى فى الحكم إذ جلست على العرش فى ٢٠ يونيو ١٨٣٧ ولم تغادره إلا فى عام ١٩٠١ بعد ٦٤ سنة!

وأعود إلى السؤال : لماذا يجذب القديم ملايين الهواة ليس للاتجار وإنما للاحتفاظ به؟ الأسباب قد تكون عديدة لكن اهمها ما ذكره مفكر صينى نسب هواية القديم إلى إحساسنا بالتاريخ ورغبتنا فى شراء هذا التاريخ على أساس أننا أنفسنا سلسلة او حلقة من حلقاته.. لكن ما يلفت الانتباه إليه هذا المفكر واسمه »لين يوتانج «أن الإنسان نفسه هو أرخص سلعة إذا أصبح قديما.. فالذى يدفع مليون دولار فى قطعة أثرية لا يدفع الف دولار للفرجة على سيدة عجوز تجاوزت المائة سنة.

يوم تغير التاريخ

دق جرس التليفون المباشر فى " الدسك المركزى " وهو المكتب الكبير الموجود فى صالة تحرير الأهرام الذى تصب فيه أخبار الصفحة الأولى ويتولى إدارة العمل فى الصحيفة ليلاً. كنت مسئول السهرة وقد انتهيت لتوى من كتابة عناوين وتلخيص الخطاب الذى ألقاه الرئيس أنور السادات فى مساء ذلك اليوم (٩ نوفمبر ١٩٧٧) وفاجأ العالم بإعلانه استعداده الذهاب لإسرائيل من أجل تحقيق السلام. وكان إسماعيل فهمي قد اتصل يطلب تجاهل ماقاله الرئيس عن إسرائيل لأنه فلتة حماس غير مقصودة، ولكن عندما عرف السادات بذلك من رئيس التحرير على حمدى الجمال ـ رحمه الله ـ ثار وماج وطلب إبراز ماقاله لأنه يقصد كل كلمة قالها ليس فقط فى الأهرام بل فى كل الصحف.

التقطت سماعة التليفون وأنا متعب وسمعت صوتًا يقول بالإنجليزية : أنا "والتر كرونكايت " (أشهر مذيع أمريكى) أتحدث إليك من أمريكا وأريد أن تساعدنى فى الاتصال بالرئيس أنور السادات. قلت : أنت تتحدث إلى جريدة الأهرام. قال : نعم أعرف فهذا هو الرقم الذى أعطوه لى وأريدك أن تبلغ الرئيس السادات أننى اتصلت برئيس الوزراء مستر مناحم بيجين وقال لى: إنه مستعد أن يوجه دعوة للرئيس السادات لزيارة الكنيست إذا كان مستعدًا لذلك. ولم أستطع أن أجيب، بل لعلى لم أتصور أن تجرى الأحداث فى تلك الليلة بهذه السرعة.. ففى خلال دقائق وبناء على تفويض من مكتب الرئيس السادات كنت أبلغ

كرونكايت عندما أعاد الاتصال بعد ٢٠ دقيقة بالضبط، «جدية الرئيس السادات فى التعامل مع أية دعوة تصله من رئيس وزراء إسرائيل». وفيما بعد عرفت أن الرئيس السادات تعمَّد أن يكون رده عن طريق الأهرام مادامت الاتصالات قد بدأت عن طريقها.

وبالفعل تولى كرونكايت الذى كان أحد نجوم الميديا التى برع الرئيس السادات فى التعامل معها هو وبربارا والترز إبلاغ مناحم بيجين رد السادات. وجاءت الدعوة بعد يومين، وفى يوم ١٩ نوفمبر طار السادات إلى إسرائيل فى رحلته التى غيرت التاريخ!

نصائح ميكيافيللى

كثيرًا ما أعود إلى كتب قديمة قرأتها منذ سنوات طويلة، وتذكرنى بها الأحداث. ومن هذه الكتب كتاب مكيافيللى الشهير والمعروف باسم «الأمير».

ولد "نيقولا مكيافيللى" فى فلورنسا فى مايو ١٤٦٩وقد بدأ موظفًا صغيرًا، ثم أصبح سكرتيرًا للجنة تضم عشرة أفراد أنشأها حكام البندقية بعد أن ظهر لأول مرة مبدأ تعيين سفراء محترفين فى الدبلوماسية يتم إرسالهم إلى ملك فرنسا وإمبراطور ألمانيا وإسبانيا مما أتاح لمكيافيللى دراسة أعمال هؤلاء المبعوثين.. كانت أغلب الدويلات الإيطالية تعانى فى ذلك الوقت من الضعف ونقص الوعى السياسى مما دعا مكيافيللى إلى كتابة نصائحه التى يمكن أن تحقق الوحدة الإيطالية فكتب فى عام ١٥١٣ كتابه «الأمير» الذى جعل أساسه «الغاية تبرر الوسيلة» ورغم مئات السنين فما زالت النظريات التى نادى بها مكيافيللى رغم تطرفها تبدو موفقة فى الكثير من الحالات.

يوجه مكيافيللى نصائحه إلى «لورنسو دى ميتسى» فيقول له من بين ما يقول:

١ - عليك ألا تسمح لأفكارك أن تبعدك عن ممارسات الحرب، بل عليك أن تمارس الاستعداد للحرب فى زمن السلم بأكثر من زمن الحرب الفعلية.

٢ - الحاكم الناجح لا ينبغى أن يهتم كثيراً بالوفاء عندما يكون الوفاء ضد مصالحه،لأن الناس غير طيبين وغير أوفياء. وكل ما على الأمير هو أن يقدم

أسبابًا معقولة ومقبولة يبرر بها عدم الوفاء مع ضرورة التمويه وإخفاء هذه الخصلة تمامًا.

٣ – أن الذى يرغب فى الحفاظ على ملكه ربما يكون مضطرًا لاقتراف بعض الأعمال الشريرة.

٤ – أيهما افضل: أن يحبك الآخرون أم تخيفهم وترهبهم؟

والجواب: إن الإنسان يلزمه أن يخيف الآخرين وأن يحبه الآخرون فى الوقت نفسه، والأكثر أمانًا هو أن يهابك الآخرون ويخافوك أكثر من أن يحبوك.

٥ – تجاوز ما ينبغى أن يكون إلى ما هو كائن فعلاً فى عالم الأخلاق وممارسة السياسة.

٦ – يجب أن يحرص الأمير على محبة شعبه، ولكن مع ملاحظة أن من يبنى آماله على الشعب وحده فإنه مثل الذى يبنى فوق رمال متحركة.

٧ – من الضرورى للأمير الذى يرغب فى الحفاظ على كيانه أن يتعلم أولاً كيف لا يكون طيبًا.

٨ – أن الغاية تبرر الوسيلة.. فليعمل الأمير على إخضاع الدولة وإشاعة الاستقرار فى ربوعها، وستبدو وسائله فى سبيل هذه الغاية مشروعة ونبيلة وجديرة بمدح الناس وثنائهم.

هذه بعض نصائح مكيافيللى التى قالها من أكثر من ٦٠٠ سنة وتبدو أنها أصبحت أكثر النصائح تطبيقًا حتى اليوم سواء كان المسئول رئيسًا لدولة أو لشركة أو إدارة؟

الفهرس

منافذ بيع مكتبة الأسرة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة
ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة ساقية
عبد المنعم الصاوى

الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو
من أبو الفدا - القاهرة

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب
أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز
ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة
ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعى -
الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة
مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة – الهرم

مبنى أكاديمية الفنون – الجيزة

ت : ٣٥٨٥٠٢٩١

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول – الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك – المرحلة الخامسة – عمارة ٦

مدخل (أ) – الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى – بكلية الزراعة –

الجامعة الجديدة – الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ – بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى – أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية – أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب – المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب –جامعة المنيا – المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة – عمارة سينما أمير – طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى – دمنهور

مكتبة المنصورة

٥ ش الثورة – المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

مكتبـــات ووكـــلاء
البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة - بيروت - هاتف: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣
ص. ب : ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
بيروت - الفرع الجديد - شارع الصيداني - الحمراء - رأس بيروت - بناية سنتر مارينا.
ص. ب : ١١٣/٥٧٥٢
فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع - سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد - المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦ - الجمهورية العربية السورية

تونس

دار المعارف

طريق تونس كلم 131 المنطقـــة الصناعية بأكودة

ص. ب: 215 - 4000 سوسة - تونس .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض - تقاطع طريق الملك فهد مع طريق العروبة (ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ - هاتف : ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية - شارع الستين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جدة : ٢١٤٨٧ - هاتف : المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ - ٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ص. ب: ١٧٥٢٢ - الرياض: ١١٤٩٤ - هاتف : ٤٥٩٣٤٥١.

٤ - مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية - الجوف - المملكة العربية السعودية - دار الجوف للعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨٠

الأردن - عمان

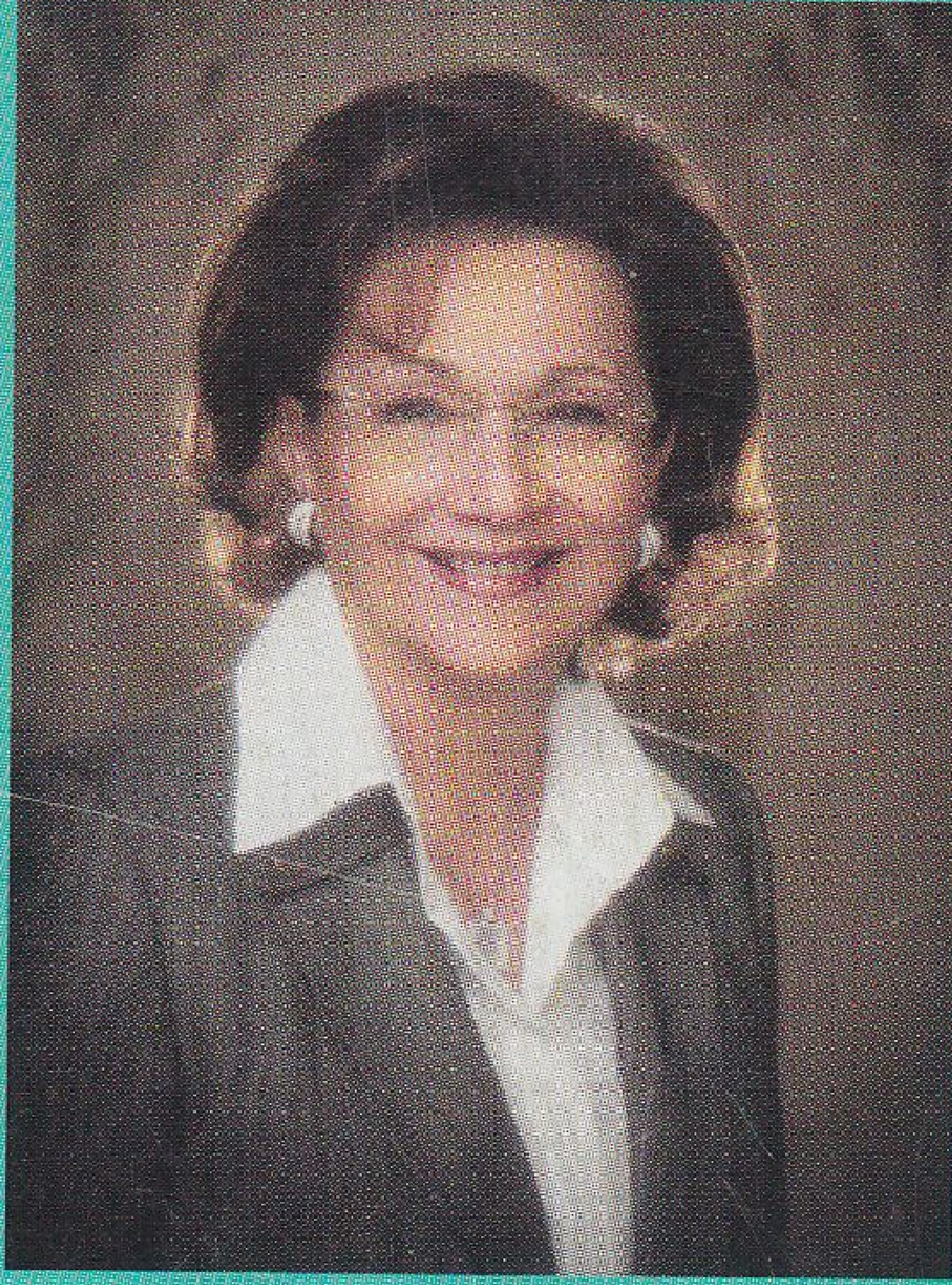
١ - دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١
فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع
عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين
هاتف : ٩٦٢٤٦٢٦٦٢٦ +
تلي فاكس : ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +
ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.

الجزائر

١ - دار كتاب الغد للنشر والطباعة والتوزيع
حي 72 مسكن م. ب. أ. ع. عمارة هـ محل ٠٢ - جيجل - هاتف : 034477122 - فاكس : 034495697
موبايل : 0661448800

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www. maktabetelosra. org.eg
E - mail : info@egyptianbook.org.eg



تذكرت بمناسبة مرور عشرين عامًا على بدء مشروع القراءة للجميع عام ١٩٩٠، حكاية تقول إن الفيلسوف اليونانى "أرسطو" كان معلمًا للإسكندر المقدونى، وإنه استطاع أن يشحن وجدان الإسكندر، ويشحذ رغبته ولعًا بكل أشكال التعليم والقراءة، حتى إن الإسكندر لم يكن يظهر إلا وفى يده كتاب، لكن حدث خلال إحدى رحلاته إلى آسيا أن عانى قلة الكتب، فإذ به يأمر أحد قادة جيوشه أن يحضر له بعض ما يقرؤه وكأن هذه الحكاية قد جاء تذكرها بمثابة حساب للنفس عما أنجزناه، حتى لا يعانى أحد قلة الكتب وجودًا وثمنًا، فتجلت مكتبة الأسرة، التى بدأت عام ١٩٩٤، هى المصالحة الواقعية التى تجاوزنا بها تلك المشكلة، تحقيقًا للإتاحة العامة للكتاب، وذلك بالربط بين اتساع إصداراتها المتنوعة فى شتى مجالات المعرفة، والدعم المادى الذى تتمتع به أسعار تلك الإصدارات، فتجعلها فى متناول الجميع. وقد تلازم نشاط مكتبة الأسرة لسنوات عدة مع فعاليات مشروع القراءة للجميع، لكننا أخيرًا أكدنا ضرورة استمرار إصدارات مكتبة الأسرة طول العام، انطلاقًا من حكمة قديمة مازالت تعاصرنا، وهى أن من يستطيع القراءة، يستطيع رؤية ضعف مايراه الآخرون.

سوزان مبارك









ISBN # 9789774216735
6 221149 018679



٢٠١٠

٣ جنيهات